زادُ المشتاق
من سيرَ شُهداء العراق

نور الدين بيرم

أبو عبد الرحمن

قدم له

الشيخ أبو محمد المقدسي

منبر التوحيد والجهاد

إهـداء

- إلى إخواني الذين شرفني الله بمعرفتهم في أرض الجهاد.

- إلى من أثقلته جراح الأمة فطببها بروحه.

- إلى من طلب الموت مظانّه، من أجل أن تحيا الأمة.

- إلى من سارع لأداء ما يحمل بين جنبيه من أمانة، ويسلمها لمالكها ومشتريها.

- إلى الرجال الذين نفضوا غبار الذل عن أنوفهم، ولم يرضوا بالهوان منهج حياة. - إلى كل المجاهدين في الأرض، الذين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، ويقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا، والذين أشركوا، من اليهود، والنصارى، و الديمقراطيين، والعلمانيين، والرأسماليين، والشيوعيين، والروافض، وطواغيت العرب والعجم عامة، هي السفلى.

- إلى كل أولئك الرجال الفوارس، الأسود الأشاوس، أقول:

﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

فما النصر إلاّ صبر ساعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ أبي محمد المقدسي

الحمد لله الذي شرع الجهاد والاستشهاد لرفع راية توحيدة، وجعله ذروة سنام الإسلام، والسبيل إلى إحيائه وتجديده ..

والصلاة والسلام على قائد المجاهدين القائل : (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ..) .

وبعد .. فإن مما تقر به أعين الموحدين في زماننا، وتحر به أعين المشركين، وتنشرح له صدور أنصار الدين، وتضيق به قلوب الشانئين من أعداء الدين ؛ ما وصل إليه اليوم حال الجهاد والمجاهدين في بقاع الأرض كلها من نضوج وتميز وفهم للجهاد وتحقيق لمقاصده وإظهار له في أبهى صوره، والمضي على ذلك و الثبات عليه وعدم التضرر بالمفترين والحاقدين والمشوّهين للجهاد من مشايخ ورهبان الطواغيت، أو إعلامهم الخبيث المأجور والمتخصص في ذلك، المتفنن بالكذب والتزوير والتلفيق ..

ولا شك أن هذا الإعلام قد أصبح أداة من أدواة الحرب على الإسلام وعلى الجهاد والمجاهدين ترصد له الميزانيات الضخمة، وتخصص ذلك البرامج الخبيثة التي يصدر فيها مشايخ الطواغيت وعملاء الأمريكان من أهل التجهم والإرجاء، ويلمّع فيها كل محارب للجهاد أو متساقط ناكص عن سبيله ..

وإذا كان هذا قد صار سلاحا من أسلحة الحرب على الإسلام والجهاد اليوم، فحري بالمجاهدين أن يردوه في نحور أهله، ويقلبوه في وجوههم، بإظهار الصورة الحقيقية والمشرقة لهذا الجهاد، وبذكر سير أبنائه الغير الميامين، وبالتعريف بشهدائه وأخلاقهم ونهجهم الحقيقي، الذي يحاول أعداؤنا تغييبه ..

وإن كتاب أخينا الفاضل أبي عبد الرحمن نور الدين هذا لمحاولة جادة ورزينة في هذا الباب، فقد تحدث فيها عن سير من لقيهم من الشهداء في ساحات الجهاد التي ترفع فيها راية التوحيد، فعرّفنا بأظهر أخلاقهم وقص علينا شيئا من سيرهم أخبارهم، وشوّقنا لسلوك نهجهم وطريقتهم ..

وما تنفع الخيل الكرامُ ولا القنا   إن لم يكن فوق الكرام كرامُ

فنسأل الله تعالى أن يعظم له الأجر والثواب وأن يتقبل منا ومنه صالح الأعمال، وأن يجمعنا بإخواننا الشهداء في فردوسه الأعلى، مع محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ..

يامن شكى شوقه من طول فرقته إصبر لعلك تلقى من تحب غدا

وهو في كتابته هذه ؛ يستمر في انطلاقته التي بدأها في كتابه الأول (**فصل المقال في هجر أهل البدع والضلال**) .. ملقنا الجهال والبطالين الذين لا يحسنون في هذه الحياة إلا القيل والقال والغمز واللمز والغيبة والنميمة، أولئك الذي هم كالذباب لا همّ لهم إلا الوقوع على الأذى وتتبع المتشابهات وإثارة الفتن، فهم منغمسون في هذه السخافات يبثونها هنا وهناك، يضيّعون فيها أعمارهم وأوقاتهم، وينفقون شبابهم وفراغهم في ترهات وسخافات تناسب عقولهم ومستوياتهم، فيما هو يقدم لنا كل يوم شيئا جديدا مفيدا ..

مستذكرا قول القائل :

قد هيئوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

فهم يتخبطون في حمأة جهالاتهم وهمالاتهم .. وهو يتقدم في نصرة السنة وأهلها وقمع البدعة وأصحابها، ويساهم في نصرة الجهاد والمجاهدين والتذكير بسير الشهداء والأبطال ..

وشتان بين من شغل أوقاته في طاعة ربه ونصرة دينه ونفع أمته، وبين من كان هامشيا في هذا العالم لا يفيد ولا يستفيد ..

وكما قيل : من لم يزد شيئا مفيدا إلى هذه الأمة، فهو زائد عليها لا فائدة فيه ..

أسأل الله تعالى أن يبارك في سعي أخينا أبي عبد الرحمن وأن ينفع بكتابه ويتقبل منا ومنه .. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

وكتب
أبو محمد المقدسي
رمضان ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} آل عمران:١٠٢.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً } النساء:١.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ! يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً } الأحزاب:٧٠-٧١.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

ثم أما بعد:

لقد غر المتكالبين على الإسلام والمسلمين في هذا الزمان، غثاء السيل الطافي، وأعمتهم فقاقيع الهواء الفارغة، من طغام ومرجئة ورويبضة، مخنثو العزم والعقيدة، الذين لم تخالط قلوبهم هموم الأمة، ولم يتداعوا لجراحاتها بالسهر والحمى، عما تحته من قوة جارفة تجتث كل ما يعترضها ممن يحاد الله ورسوله، فساقهم الله باستكبارهم وطغيانهم إلى مصارعهم، واستدرجهم من حيث لا يشعرون لحتوفهم.

فها هي أمريكا قد أقبلت علينا بحدها وحديدها، وأجلبت علينا بطائراتها وبارجاتها ورجلها، واهمةً أنها ستقدر أن تطأ بمن اتخذتهم نعالاً من عُبّادها وأوليائها وأتباعها في أقدامها، عزة رجالٍ عجزت ذرى الجبال الشوامخ من أن تطالها، فخانها ظنها، وانقلب

السحر على الساحر، وقد أوشك مولانا جل في علاه أن يحنها ومن تولاّها الغداة بأولئك الغرباء، الذين عذبها الله ومن سار في ركبها بأيديهم، وأخزاها ومن تولاّها بهم، فمرغوا أنفها وأنف من ظاهرها بالوحل، وأسقطوا هيبتها، وأهانوا كرامتها، وكسروا قوّتها، وأذلّوا عزتها، حتى باتت عاجزةً أن تمسح العار الذي وسمته تلك الثلة المؤمنة على جبينها، فها هو ذا وجهها الذليل الصاغر سافرٌ أمام العالم أجمع.

هذا، ولقد شرفني الله بمعرفة بعض أولئك الرجال من الذين التقيت بهم في عراق العزة والخلافة، ومنّ الله علي كذلك بأن تكتحل عَيناي برؤية وجوه بعض الشهداء التي تفوق البدر حسناً وجمالاً، وشذاني برائحة أطيب المسك التي فاحت من دمائهم الطاهرة الزكية، والتي كانت خاتمةً لسيرة حياتهم العطرة، وقاعدة تأسست عليها دولة التوحيد، دولة العراق الإسلامية التي ما نبتت شجرتها إلا على أشلائهم، وما سقيت وارتوت إلا من دمائهم الطاهرة، وها نحن بها وقد أوشكت ثمارها أن تينع، وتأتي أكلها للأمة كل حين.

ولأنّ الكثير من إخواني الشهداء الذين عاشرتهم في ملحمة العراق من مهاجرين وأنصار، لم يفارقوا فؤادي، ولم يغيبوا عن بالي، منذ أن أريقت دماؤهم الزكية، وفاضت أرواحهم الرضية، فإنني أجد نفسي مغرمةً بحقوق الأخوّة، وإني لأرجو أن تكون كتابتي لبعض السطور عن سيرهم المشرفة، وأخلاقهم الرفيعة، وصفاتهم التي عز المتصفون بها في هذا الزمان، سبيلاً لبراءة الذمة، خاصة وأن أمريكا وأذنابها من مكافحي الإسلام والجهاد، وأوتادهم من حملة الأسفار الحمير، أدعياء العلم، وسدنتهم من الكلاب اللاهثة، أصحاب الفتاوى المعلّبة، الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، وكتموا ما أنزل الله من البينات والهدى، قد استماتوا في سبيل تشويه صورة الجهاد والمجاهدين في كل مكان، وخاصةً في بلاد الرافدين، لأن فرعون هذا العصر أمريكا وملأها قد أصبحوا موقنين بأنّ الصولة والدولة، والغلبة والظهور بإذن الله العزيز الحكيم لعباده المجاهدين الموحدين، وقد أضحى ذلك أجلى وأوضح من الشمس في رابعة النهار، ولا ينكر ذلك أو يشك فيه إلا سقيم القلب، أعمى البصيرة، من الذين أشربت قلوبهم بحب الطواغيت وموالاتهم.

ولا يصح في الأفهام شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل

وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم، الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، ذا الجلال والإكرام، الحنان المنان، أن ينصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم انصرهم على من عتا وتجبر، اللهم انصرهم على من علا واستكبر، اللهم انصرهم على من أشرك وكفر، اللهم وحد صفهم، وسدد رميهم، وصوب رأيهم، وداوِ جراحهم، وفك أسراهم، واستعملنا يا ربنا لنصرة دينك، وإعلاء كلمتك، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا يا الله، اللهم استعملنا ولا

تستبدلنا يا حي يا قيّوم، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا يا ذا الجلال والإكرام، وألحقنا بإخواننا المجاهدين والشهداء، وأسكنّا الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وتقبل مني هذا العمل، واجعله خالصاً لوجهك الكريم، وإنِّيَ لأَحْتَسِبُهُ عندك يا مولاي في باب الذب عمن لا يحتاجون لذبي عنهم، ونصرة من نصرتهم يا جبار السماوات والأرض.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على قائد الغر الميامين وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نور الدين بيرم
(أبو عبد الرحمن)

طواغيت هذا العصر، ورثة فرعون مصر

إن شأن أمريكا ونعالها في هذا الزمان، شأن سلفهم من الطواغيت على مرّ الزمان، وعلى رأسهم فرعون وأوتاده، فها هي أمريكا "فرعون هذا العصر" وربيبتها إسرائيل "هامان هذا العصر" وجنودهما وأوتادهما، وأعوانهما من الطواغيت الصغار هنا وهناك، قد طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، علوّاً واستكباراً، ظلماً وكفراناً، حالهم حال فرعون الأول، قال الله تعالى: **{ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ }** القصص:٤، وقال جل ذكره: **{ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ }** القصص:٨، وقال عز من قائل: **{ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ! الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ! فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ }** الفجر:١٠-١٢.

فبعد أن تلطخت أيدي أمريكا وأشياعها بدماء المستضعفين على اختلاف ألوانهم وأديانهم ولغاتهم، في شتى بقاع الأرض، ابتداءً بقتل الهنود الحمر أصحاب القارة الأمريكية الأصليين، الذين تأسست أمريكا على جثثهم، بعد غزو بلادهم في عام ٩٠٣هـ، على أيدي البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين.

ثم تنظيمها لرحلات الصيد على ربوع القارة الأفريقية لاصطياد أهلها من السود، كاصطياد الحيوانات البرية، ومن ثم تصديرهم إلى أراضيها وشعبها من أجل استعبادهم.

ومروراً بمجزرة هيروشيما اليابانية التي قتل فيها أكثر من ٨٠,٠٠٠ [ثمانين ألف] إنسان، وجرح أكثر من ٩٠,٠٠٠ [تسعين ألف] أخرين في غداة واحدة، إثر إسقاط الطائرات الأمريكية قنبلة نووية على المدينة، ولم تكتف أمريكا بذلك، فبعد ثلاثة أيام أعادة الكرة ثانية بإسقاط قنبلة نووية أخرى على مدينة ناجازاكي، والتي راح ضحيتها أيضاً أكثر من٧٥,٠٠٠ [خمسة وسبعين] إنسان.

ولا يزال أهل تلك البلاد يعانون من آثار تينك القنبلتين النوويتين إلى أيامنا هذه.

ثم غزوها بعد ذلك لفيتنام، وتقسيمها إلى شمالية وجنوبية بينها وبين حليفتها في الحرب العالمية الثانية فرنسا.

ولا ننسى مباركتها خلال تلك السنين كلها لجرائم ربيبتها إسرائيل "هامان" ومجازرها الشنيعة بالمسلمين في فلسطين ولبنان، مثل مجزرة دير ياسين، ومجزرة صبرا وشاتيلا، ومجزرة قبية، ومجزرة مخيم جنين، وغيرها الكثير الكثير.

ولا تزال سلسلة المجازر اليهودية تمتد إلى أيامنا هذه، فما يجري الآن في غزة وفي الخليل من مذابح للمسلمين إنما يجري على مرأى ومسمع من العالم أجمع، وليس ذلك بمستور عن أحد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الظيم.

ثم استجمعت أمريكا وحلفاؤها من العرب والعجم قوتهم، وجعلوا الأمة الإسلامية هدفهم الرئيس، وسلطوا سيوفهم في نحرها، وطعنوا بأسنتهم في خاصرتها.

ففي عام ١٤٠٩هـ، قامت أمريكا باحتلال جزيرة العرب، إثر غزو جيش البعث بقيادة صدام لدولة الكويت، بعد أن أعطاها أولياؤها من حكام آل سلول وسدنتهم من هيئة كبار العملاء الصبغة الشرعية، بحجة جواز الاستعانة بالكافر على الكافر، مع أنهم "أي العلماء!!!" كانوا يفتون بحرمة استعانة المسلم بالكافر في أمور هي أدنى من ذلك بكثير، كاستئجار المسلم للكافر للعمل في المحلات التجارية مثلاً، وهاك قطرة من محيط تبدل فتاوى القوم لتوافق هوى سلاطينهم، قال ابن باز في نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع: "وليس للمسلمين أن يوالوا الكافرين أو يستعينوا بهم على أعدائهم، فإنهم من الأعداء ولا تؤمن غائلتهم وقد حرم الله موالاتهم، ونهى عن اتخاذهم بطانة، وحكم على من تولاهم بأنه منهم، وأخبر أن الجميع من الظالمين... وثبت في صحيح مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة، أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه، فلما أدركه، قال لرسول الله:

جئت لأتبعك وأصيب معك، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:((أتؤمن بالله ورسوله؟)) قال: لا!، قال: ((**فارجع فلن استعين بمشرك**))، قالت: ثم مضى، حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة، فقال: لا!، قال: ((**فارجع فلن استعين بمشرك**))، قالت: ثم رجع فأدركه في البيراء فقال له كما قال أول مرة: ((تؤمن بالله ورسوله؟))، قال: نعم! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فانطلق)). **فهذا الحديث الجليل، يرشدك إلى ترك الاستعانة بالمشركين، ويدل على أنه لا ينبغي للمسلمين أن يدخلوا في جيشهم غيرهم... لأن الكافر عدو لا يؤمن، وليعلم أعداء الله أن المسلمين ليسوا في حاجة إليهم، إذا اعتصموا بالله، وصدقوا في معاملته، لأن النصر بيده لا بيد غيره، وقد وعد به المؤمنين وإن قل عددهم وعدتهم كما سبق في الآيات وكما جرى لأهل الإسلام في صدر الإسلام... فانظر أيها المؤمن إلى كتاب ربك وسنة نبيك عليه الصلاة والسلام كيف يحاربان موالاة الكفار والاستعانة بهم واتخاذهم بطانة، والله سبحانه أعلم بمصالح**

عباده، وأرحم بهم من أنفسهم، فلو كان في اتخاذهم الكفار أولياء... والاستعانة بهم مصلحة راجحة، لأذن الله فيه وأباحه لعباده، ولكن لما علم الله ما في ذلك من المفسدة الكبرى، والعواقب الوخيمة، نهى عنه وذم من يفعله... فكفى بهذه الآيات تحذيرا من طاعة الكفار، والاستعانة بهم، وتنفيرا منهم، وإيضاحا لما يترتب على ذلك من العواقب".أه [نقلاً عن كتاب مفتي مملكة آل سعود عبد العزيز بن باز- ص١٢-].

قلت: ولكن هذا التحريم القطعي في مسألة الاستعانة بالكافر سرعان ما تحول، لا أقول إلى مباح، بل إلى واجب شرعي لا يجوز التراخي في العمل بموجبه!! لما جاء الأمر بذلك من عند ولي الخمر، فسارع ابن باز عندئذ بتحريف الكلم عن مواضعه، وصار الحرام حلالاً والحلال حراماً في طرفة عين - اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك - إذ قال في محاضرة طارئة له بسبب اجتياح حاكم العراق للكويت: "إن الدولة في هذه الحالة قد اضطرت إلى أن تستعين ببعض الدول الكافرة على هذا الظالم الغاشم، لأن خطره كبير، ولأن له أعوانا آخرين، لو انتصر لظهروا وعظم شرهم، **فلهذا رأت الحكومة السعودية وبقية دول الخليج أنه لا بد من دول قوية تقابل هذا العدو...** وهيئة كبار العلماء... لما تأملوا هذا ونظروا فيه، وعرفوا الحال بينوا أن هذا أمر سائغ، **وأن الواجب** استعمال ما يدفع الضرر، **ولا يجوز التأخر في ذلك، بل يجب فورا** استعمال ما يدفع الضرر... **ولو بالاستعانة بطائفة من المشركين فيما يتعلق بصد العدوان وإزالة الظلم، وهم جاءوا لذلك وما جاءوا ليستحلوا البلاد ولا ليأخذوها، بل جاءوا لصد العدوان وإزالة الظلم ثم يرجعون إلى بلادهم... وما يتعمدون قتل الأبرياء، ولا قتل المدنين، وإنما يريدون قتل الظالمين المعتدين وإفساد مخططهم والقضاء على سبل إمدادهم وقوتهم في الحرب**" أه [نقلاً عن كتاب مفتي مملكة آل سعود عبد العزيز بن باز- ص١٢-].

وقال بن باز أيضاً: "أما ما يتعلق بالاستعانة بغير المسلمين **فهذا حكمه معروف عند أهل العلم والأدلة فيه كثيرة، والصواب ما تضمنه قرار هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية**؛ أنه يجوز الاستعانة بغير المسلمين للضرورة إذا دعت إلى ذلك لرد العدو الغاشم والقضاء عليه وحماية البلاد من شره، إذا كانت القوة المسلمة لا تكفي لردعه جاز الاستعانة، بمن يظن فيهم أنهم يعينون ويساعدون على كف شره وردع عدوانه، **سواء كان المستعان به يهوديا أو نصرانيا أو وثنيا أو غير ذلك، إذا رأت الدولة الإسلامية** أن عنده نجدة ومساعدة لصد عدوان العدو المشترك". أه [نقلاً عن كتاب مفتي مملكة آل سعود عبد العزيز بن باز- ص١٣-].

ولاحظ أخي القارىء قول ابن باز: "فلهذا **رأت الحكومة السعودية** وبقية دول الخليج أنه لا بد من دول قوية تقابل هذا العدو". قلت: خابت والله أمة وخسرت إذا كان أهل الرأي والبصيرة فيها حكام آل سلول الرويبضة وقرناءهم من حكام دول الخليج، وما يرونه في أمور الأمة مستساغاً بل واجباً عند علمائها، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

يرى الجبناء أن العجز عقلٌ ... وتلك خديعة الطبع اللئيمِ
وكل شجاعة في المرء تغني ... ولا مثل الشجاعة في الحكيمِ
وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيمِ

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إنها ستأتي على الناس سنون خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة**)) قيل: وما الرويبضة قال: ((**السفيه يتكلم في أمر العامة**)) أحمد:٢/ ٧٨٩٩، ومن طريق أنس بن مالك عنده قال: ((**الفويسق يتكلم في أمر العامة**))، وعند الحاكم في مستدركه من طريق أبي هريرة قال: ((**الرجل التافه يتكلم في أمر العامة**))، وعند عبد الرزاق في مصنفه من طريق عبدالله بن دينار قال: ((**وتنطق الرويبضة في أمر العامة**))، قال: قيل: وما الرويبضة يا رسول الله، قال: ((**سفلة الناس**))، ولا يخفى على ذي لب سفاهة أولياء أمر بن باز وتفاهتهم وسفالتهم وفسقهم فضلاً عن كفرهم وردتهم، بل إنه لا يخفى كذلك حرصهم على الصدارة والريادة في تلك المقامات الدنية كلها.

وليتهم إذ تحولوا ذاك التحول العجيب في الفتيا بين طرفة عين وانتباهتها، وخالفوا جمهور السلف في تحريم الاستعانة، لزموا ضوابط وشروط القائل بالجواز، مثل أن يكون الكافر المستعان به تحت سلطة المسلمين يأتمر بأوامرهم وينته بنواهيهم، لا أن يقلد زمام الأمور فيصبح هو القائد الآمر الناهي الذي يدير رحى المعركة، ولا أن يكون جنود "الدولة الإسلامية!!!" - في حد زعم ابن باز- حرسه وجنوده، ومثل استفراغ الجهد في البحث عمن يقوم بهذا العمل من المسلمين.

هذا وقد عرض شيخ المجاهدين وقرة أعين الموحدين الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله تعالى على حكام الدولة السلولية أن يتصدى هو ومن معه من الأسود الأشاوس لصدام وجيشه الغاشم، إلا أن ذلك العرض لم يقابل إلا بالصد والرفض، ليس لشيءٍ إلا لأن الغاية

وببساطة من استعانتهم بالأمريكان ليست لدفع صولة صدام وحسب، وإنما لتمكين آلهتهم أمريكا "فرعون العصر" من بلاد المسلمين ليعيثوا فيها فساداً، ويستعبدوا أهلها ذلاً وصغاراً، بل إنهم قد نسفوا ضوابط المجيزين نسفا، وضربوا بها عرض الحائط، متبعين بذلك سنن سلفهم من الأحبار والرهبان حملة الأسفار الحمير والكلاب اللاهثة، حذو القذة بالقذة، فبدلوا كلام الله سبحانه وتعالى، وكتموا ما أنزل من البينات والهدى، ولووا أعناق النصوص لتوافق هوى أولياء أمورهم من الطواغيت، الذين وطئت جباههم الرغام ركوعاً وذلاً وصغاراً لفرعون العصر أمريكا، واتخذوها ولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين، فجادوا لها بدماء وأعراض وخيرات الأمة علّها تقربهم إلى آلهتهم زلفى، **{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ! الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ! أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ! أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ! لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ }** هود:١٨-٢٢.

فعمي أولئك السفهاء عن سنن الله الكونية القدرية، التي لا تتبدل ولا تتحول، مهما بلغ خبث الماكرين، ومهما بلغت قوة الطغاة الحاقدين، **{... وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ! أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا }** فاطر:٤٣-٤٤.

فلما أخذ فرعون يذبّح أبناء بني إسرائيل، ويستحيي نساءهم، ويعيث في الأرض فساداً، كما قال الله سبحانه وتعالى: **{ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ }**القصص:٤، وبعد ما بلغ به الطغيان ما بلغ من ادعائه الألوهية من دون جبار السماوات والأرض، بعث الله إليه موسى وأخاه هارون - عليهما السلام - ليذكرانه بأنه عبدٌ لله، ومهما بلغ من طغيان وتجبر فإنه لن يعدو قدره، وأن أمر الله أقرب إليه مما يظن، قال تعالى: **{ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى }** طه:٤٣، وقال تعالى ذكره: **{ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ! إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ ! فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ }** المؤمنون:٤٥-٤٧، ولما استكبر فرعون وملأه، وأبوا أن يكونوا عبيداً لله الواحد القهار اختيارا، إذ أن كل من في السماوات والأرض

هو عبدٌ لله عبودية جبرية كما قال الله سبحانه وتعالى: **{ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا }** مريم:٩٣، فلما أبوا العبودية الإختيارية لله، وأصر فرعون أن يكون معبوداً من دون الله: **{ فَحَشَرَ فَنَادَى ! فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى }** النازعات:٢٣، استدرجه الله ليهلكهه وجنوده من حيث لا يشعرون، وجاءهم من عذاب الله وغضبه ما لم يكونوا يحتسبون.

قال الله سبحانه وتعالى حاكياً تلك الأحداث: **{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ! وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ! وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ! وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ ! فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ! وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ ! وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ }**القصص:٣٦-٤٢.

وذلك ما سيؤول إليه مصير أمريكا "فرعون هذا العصر" وأوتادها وجنودها، بإذن الله العزيز الحكيم، إذ أنهم لم يفارقوا سنن فرعون ومن حذا حذوه من بعده قيد أنملة **{ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }** الذاريات:٥٣، فلما عاثت أمريكا في الأرض فساداً وقالت للعالم أجمع دون ترددٍ أو استحياء: **{ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى }** النازعات:٢٤، وصرخت بأعلى صوتها وقالت: أنا شرطي العالم، أنا النظام العالمي الجديد، أنا القوة التي لا تنكسر، أنا صاحبة الجيش الجرار الذي لا ينهزم، وأخذت هي وهامان وجنودهما يذبحون أبناء المستضعفين من أهل المعمورة عامةً، والمستضعفين من المسلمين خاصة ويستحيون نساءهم.

قام ليتصدى لجبروتهم وطغيانهم ثلةٌ من الرجال الذين لم تعرف قلوبهم عظيماً إلا الله، ولم يخافوا من بطش جبارٍ غير جبار السماوات والأرض، لا يعتزون بمال، ولا يتشرفون بجاه، وكيف يعتزون بمال بعد أن أعزّهم الله بلا إله إلا الله، وكيف يتشرفون بجاه بعد أن شرّفهم الله بالعبودية له وحده لا شريك له، هم رجال ليس في جعبتهم خطير سلاح مادي، ولا كثير عدد وعتاد يقاتلون به، حاشا سلاح الموحدين الفتاك لا إله إلا الله، ذلك السلاح الذي عجز أهل الكفر - وحقيقٌ بهم أن يعجزوا - ومن شايعهم وناصرهم من شياطين الإنس والجن أن يجدوا له مضاداً، أو حتى درعاً واقياً يلوذون به من خطره.

هم رجالٌ أتقياءٌ، أنقياءٌ، أخفياءٌ، لا يعرفهم كثيرٌ من الناس، ووالله ليس ذلك مما يضرهم أو يحزنهم، ويكفيهم أن يعرفهم من قاتلوا لتكون كلمته هي العليا، ودينه هو الأسمى، وأوليائه هم الأعز.

فَدَكَّ أولئك الفتية الذين ربط الله على قلوبهم، **{ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا}** الكهف:١٤، عرش فرعون العصر أمريكا في عقر دارها، متجاوزين بعقيدتهم الثابتة، وإيمانهم الراسخ، ويقينهم على الله، حدودها وسدودها، مما أغاظ عدو الله أمريكا وأثار حفيظتها، تماماً كما أغاظ موسى عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين جدَّها فرعون، قال تعالى: **{ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ! إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ! وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ! وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ }** الشعراء:٥٣-٥٦.

وتفجر بركان حقدها الدفين، وأجرى الله على لسانها ما طال حبسه في غياهب صدرها، وأعلنتها بملء فيها، حرباً صليبيةً حارقة حانقة حاقدة على أولئك الذين أبوا أن يحنوا جباههم لجبروتها، ويخنعوا ويركعوا لطغيانها، وأنفت عليهم نفوسهم الأبية أن يكونوا عبيداً لغير الله الواحد القهار.

ولأن حيلة المجاهدين قليلة، وقوتهم المادية ضعيفة، وأعدادهم وعتادهم شحيحة، كان أولئك الرجال أحقر في عيون أمريكا ونعالها من أن يخطر في بالها بأن نهايتها ونهاية من شايعها وتولاها وآزرها على أيديهم، وكان لسان حال أولئك الطغاة ناطقاً بما قاله جدهم فرعون عن نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين، كما حكى الله سبحانه وتعالى عنه في كتابه فقال: **{ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَوَهَذِهِ الأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ! أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ! فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ! فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ! فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ }** الزخرف:٥١-٥٦.

فنادت أمريكا في مشارق الأرض ومغاربها وقالت: أليس لي ملك العالم، أم أنا خيرٌ من هؤلاء الذين هم مهينون ولا يكادون يبينون، فاستخفَّت أذنابها وعملاءها، واستجاب لها وأطاعها أراذل القوم من عرب وعجم، **{ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى }** طه:٧٩، ثم تكالبت بمن معها من كلاب على إمارة أفغانستان الإسلامية، فدكتها بقصف لا يبقي ولا يذر، **{ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً }** الأنفال:٤٢، ولحكمة يعلمها علام الغيوب، قدَّر الله أن لا يكون في بداية غزوها كثير مواجهة ومقاومة من جهة المسلمين هناك،

فأخذتها العزة بالإثم لتستمر في غزوها لبلاد المسلمين، وكانت محطتها الثانية هي عراق الخلافة، وظنت، بل واعتقدت أن الأمر لن يعدو أن يكون نزهة ترفيهية، وأوهمت جنودها بأنهم ذاهبون في رحلة أشبه ما تكون برحلةٍ سياحية، وأن أهل العراق ينتظرون استقبالهم بالورود والرياحين، قال تعالى: **{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ! وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ }** الأعراف:١٨٢-١٨٣، وقال جل ذكره وتقدست أسمائه: **{ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ! وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كانوا يَحْذَرُونَ }** القصص:٥-٦.

فاستدرجهم الله سبحانه وتعالى بخيلائهم وطغيانهم لدخول بلاد الرافدين التي كان يتربص بهم فيها عرينٌ من أحفاد خالد والمثنى، يقوده أسدٌ هصور، ومغوارٌ جسور، أمير الذباحين أبو مصعب الزرقاوي، تقبّله الله في أعلى عليّين، ورزق الله الأمة من بعده رَحِماً يحمل ويلد أمثاله، فوالذي نفسي بيده ما أظن أن الأمة رزئت بفقد أحدٍ في هذا الزمان مثل رزيتها بفقده:

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا شاة تموت ولا بعيرُ
ولكن الرزية فقد فذ ... يموت بفقده خلقٌ كثيرُ

فآهٍ ثم آهٍ ثم آهٍ لفقدك يا شيخنا، ويا مرارة حسرةٍ تجرعتها الأمة لفراقك، ووالله إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا على فراقك يا أبا مصعب لمحزونون، ولكننا لا نقول إلا ما يرضي ربنا: **{ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }**،

غرب النجوم فغرن دون همومهِ ... وطلعن حين طلعن دون منالهِ
لو لم تكن تجري على أسيافه ... مهجاتهم لجرت على إقباله
لم يتركوا أثراً عليه من الوغى ... إلا دماءهم على سرباله
فلمثله جمع العرمرم نفسه ... وبمثله انفصمت عرى أقتاله
يا أيها القمر المباهي وجهه ... لا تكذبن فلست من أشكاله
وإذا طما البحر المحيط فقل له ... دع ذا فإنك عاجز عن حاله
وهب الذي ورث الجدود وما ... رأى أفعالهم لابن بلا أفعاله

حـتى إذا فـني الـتراث سـوى العلـى ... قصـد العـداة مـن القنـا بطوالـه
وبـأرعن لـبس العجـاج إلـيهم ... فـوق الحديـد وجـر مـن أذيالـه
فكأنمـا قـذى النهـار بنقعـه أو ... غـض عنـه الطـرف مـن إجلالـه
الجـيش جيشـك غـير أنـك جيشـه ... في قلبـه ويمينـه وشمالـه
تـرد الطعـان المـر عـن فرسـانه ... وتنـازل الأبطـال عـن أبطالـه
كـل يريـد رجالـه لحياتـه ... يـا مـن يريـد حياتـه لرجالـه
دون الحـلاوة في الزمـان مـرارة ... لا تختطـي إلا علـى أهوالـه
فلـذاك جاوزهـا أبـو مصـعب وحـده ... وسـعى بمنصـله إلى آمالـه

فرحمك الله رحمة واسعة وأسكننا وإياك فردوسه الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والذين لم يشاقوا إمام الأولين والآخرين ولم تَزِلَّ أقدامهم عن سبيل المؤمنين وحسن أولئك رفيقاً.

وبعدما سقط النظام البعثي الكافر، وولى جيشه الجبان دبره، وظنت أمريكا أن الحرب قد وضعت أوزارها، وأنها قد حققت نصراً مؤزَّراً، فإذا بأسود التوحيد يبرزون لها بزئير يدوي الآفاق، ليديروا رحى المعركة من جديد، وبدأت ضربات أولياء الرحمن تزلزل الأرض من تحت أقدام أولياء الشيطان، وتوالت الانتصارات، وتسلسلت الفتوحات على أيدي أولئك الرجال الذين لم تتوقع أمريكا وأذنابها أبداً أنه ما زال في هذه الأمة بقية من أمثالهم:

مهمـا دجـا الليـل فالتـأريخ علمـني ... أن النهـار بأحشـاء الـدجى يثـب
متمسـك بكتـاب الله معتصـم ... والـريح حـولي والأوثـان والنصـب
إني لأسمـع أصـواتا تهـز دمـي ... وأبصـر الخيـل والرايـات تقـترب
وفتيـة في ريـاض الـذكر مـرتعهم ... لله مـا جمعـوا ولله مـا وهبـوا
إذا نظـرت إلـيهم خلـت أنهـم ... جـاؤوا مـن الخلـد أو للخلـد قـد ركبـوا
هـم الـذين أقـام العـدل عنـدهم ... فحيثمـا حُجبـوا فالهـدي محتجـب
هـم الـذين علـى سـيمائهم ركضـت ... أعلـى النجـوم ولاح الموسـم الخصـب
جـاؤوا علـى قـدر والخيـل تعـرفهم ... وأول الغيـث قطـر ثم ينسـكب

ولما بدأت الأمة تشم رائحة العزة بفضل - الله سبحانه وتعالى -، على أيدي أولئك المجاهدين الربانيين الذين جعلوا من صدورهم دروعاً لصد جبروت الغزاة الطغاة، بعد أن أثقل كاهلها يأس السنين، وبدأت تتعافى من جراحاتها التي كادت تجفف شرايينها من شدة النزف، وحفظوا للأمة بيضتها، وحموا بدمائهم حياضها، وأثبتوا للأمة أنهم للسمو بها إلى العلياء أهل، بعد أن خذلها من طمس الله على قلبه بالجبن والجهل.

فتجلّى للأمة دون أدنى شبهة أو غشاوة أن هؤلاء الرجال هم أجدر الناس لقيادتها، وأصدقهم في رفع رايتها، فهمّت عندئذ بل وبدأت هنا وهناك بمآزرة أبنائها الصادقين، ورصت بفلذات أكبادها صفوف المجاهدين، وبعدما أفلست أمريكا وحلفاؤها من طرائقهم الخبيثة، واستنفذوا ما في جعبتهم من أسلحة مادية مدمرة في محاربة الحق وأهله، من قتل وقصف وأسر وهتك للأعراض.

وبعد أن أيقنوا أن تلك الأسلحة لا تبلغهم النصر المرام، بل وكلما اسرفوا في استعمالها، عززت في حياة المجاهدين مواقف الثبات والإقدام، سلّوا عندئذ آخر سلاح شيطاني فرعوني خسيس في جعبتهم، مستغيثين بآخر ورقة رابحة - في ظنهم - وهي تشويه صورة المجاهدين إعلامياً، وتشكيك الناس في غاياتهم وأهدافهم.

فتزيوا للناس بثوب الرحمة والشفقة، ونعقوا ونبحوا جاهدين في التلبيس على الناس بأنهم لا يحاربون المجاهدين إلا لإقرار السلامة والأمن في الأرض، وأنهم لم يغزوا بلاد المسلمين بجيوشهم الجرارة إلا من أجل الحفاظ على حضارة المسلمين وثرواتهم، وأن المجاهدين هم المفسدون في الأرض، وهم الذين يريدون سفك الدماء، وتدمير الحضارات، ولا غرابة في ذلك ألبتة.

إذ أن هذا النوع من السلاح الإعلامي التضليلي التشويهي جزء لا يتجزأ من ميراث

جدهم فرعون الخبيث الذي خلفه لأتباعه وآله، فها هو ذا فرعون - لعنه الله - بعد ما كان يخاطب الناس بأنه هو ربهم الأعلى، وأنه لا يعلم لهم إلهاً غير نفسه، وبعد أن ذبّح أبناء بني إسرائيل، واستحيا نساءهم، وعاث في الأرض فساداً، وجعل أهلها شيعاً، فها هو ذا أسلوب خطابه مع الناس يتغير بصورة عجيبة لما جاءه نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام بالحجج الدامغات، وظهر على سحره وسحرته بالآيات البينات، وخر السحرة للأحد الصمد رب موسى وهارون سجداً، ولم يسبب لهم تهديد فرعون بتصليبهم في جذوع النخل وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف في إيمانهم ترددا، فلبس عندها فرعون ثوب الشفقة على قومه، وأظهر لهم حرصه على مصالحهم وحضارتهم، وبعد أن كان يحصر ملك مصر لنفسه،

أصبح يعزوه لعامة الناس، وبعد أن كان له الأمر والنهي المطلق، أصبح - كما يقول بعض الذين يطيعون العبد في معصية الله، ومخالفة هدي نبيه صلى الله عليه وسلم، بل ويطيعونه في الكفر والردة أحياناً، نسأل الله العافية - هو العبد المأمور الذي ينتظر الأوامر من سيده ليتقرب إليه بالطاعة.

وإليك بعض الأمثلة من الدروس التي ورثتها أمريكا وملأها عن فرعون وملإه:

أولاً: إدعاؤهم الحرص على الوحدة الوطنية، وجمع الكلمة، ووحدة الصف.

يقول الله سبحانه وتعالى: **{ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ! فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى }** طه:٦٣-٦٤، ففي هذه الآية يُظهر فرعون وملأه في معرض خطابهم للناس حرصهم على الوحدة الوطنية، ليستنهضوا القومية الجهلاء في قلوب الطغام، فإذا تحقق لهم ذلك فقد حازوا الرأي العام إلى صفهم، وانطلقوا بالتالي لضرب الموحدين من قاعدة شعبية عريضة، **{ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى }** طه:٦٣، ولا بد لتحقيق ذلك من دعوة الناس إلى جمع الكلمة - وهو المعبر عنه بالكيد في هذه الآية- **{ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ }** طه:٦٤، وللضرورة التي تستوجبها ضراوة المعركة، فإن جمع الكلمة وحده لايكفي إذ لا بد لخوض هذه المعركة الحامية الوطيس من وحدة الصف ورصه، **{ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا }** طه:٦٤، وهي القاعدة الشعبية كما أسلفنا قبل بضعة سطور[١]، ولم ينس فرعون وملأه تزيين محاربتهم لله ورسوله والمؤمنين بحصر الفلاح والنجاح في ذلك العمل الخسيس، **{ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى }** طه:٦٤.

---

(١) سبحان الله، وأنا أكتب هذه السطور تعبت قليلاً، فتوقفت عن الكتابة، وأخذت أتصفح الأخبار على الإنترنت وإذا بموقع الجزيرة نت يبث هذا الخبر الذي يشهد لما كتبناه عن حرص الفراعنة في كل زمان على كسب الرأي العام واستقطاب القاعدة الشعبية، وإليك الخبر كما ورد: (دعا قائد القوات الأميركية في أفغانستان الجنرال ديفد مكيرنان إلى التركيز على كسب دعم الأفغانيين لا العمليات ضد طالبان، وقال في ورقة من ثلاث صفحات موجهة إلى الناتو عنوانها "محاربة التمرد" أن "**العمليات التي تركز على السكان للتأثير عليهم يجب أن تكون الجهد الرئيسي وتكون العمليات التي تستهدف الأعداء جهدا داعما**").الجزيرة نت - الخميس ١٣/٤/١٤٣٠هـ.

ولكن الحقيقة التي لا تخفى على من أنار الله قلبه بنور الإيمان، ووفقه لمعرفة أسرار حكمته سبحانه وتعالى من استمرارية المعركة الضروس بين الحق والباطل، والتي لن تضع أوزارها، ولن يُطْفَأَ لهيبها ما دامت السماوات والأرض، إنه لم ولن يفلح والله لا في الدنيا ولا في الآخرة، من أطاع فرعون وملأه، وشد أزرهم وناصرهم، ولن يفلح كذلك والذي لا إله إلا هو من آزر وناصر ورثته من الفراعنة على مر الزمان، وسار في ركبهم.

ألم تر كيف أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه قد وطىء بنعله المغبرة في سبيل الله يوم بدر رأس فرعون هذه الأمة أبي جهل - لعنه الله - وارتقى ذلك المرتقى الصعب، بعد أن قطع عدو الله إحدى أذنيه في زمن الإستضعاف بمكة وأذاقه ألوان العذاب؟.

فوالله لن يطول الزمان بإذن الله العزيز الجبار، قبل أن تكتحل أعيننا برؤية إخواننا المجاهدين وهم يطأون رأس "فرعون هذا العصر" أمريكا، ورأس كل خوّان كفور من عبّادها وعبّاد ربيبتها إسرائيل "هامان هذا العصر"، **{ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ! إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ! وَنَرَاهُ قَرِيبًا }** المعارج:٥-٧.

فها هم إخواننا قد مرغوا أنفها وأنف من انحاز إلى عدوها بالتراب، وليست نعال إخواننا الشريفة ببعيدة عن رؤوس القوم الخسيسة، **{ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ! إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ! وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ! فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ! وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ }** الصافات:٧١-٧٥.

ثانياً: وعدهم بتوفير الدعم المادي، والجاه الدنيوي لمن ظاهرهم وناصرهم.

قال تعالى: **{قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ! قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ }** الأعراف:١١٣-١١٤، فلم ينس عدو الله فرعون أن يجعل لمن أعانه على ذلك الأجر والعطايا، بل والقرب منه مكانا، وهذا لعمر الله أحد الدروس التي حرصت أمريكا على تطبيقها في مواجهة إخواننا المجاهدين على أرض الواقع من دعم وإمداد من سار في ركبها وانحاز إلى عدوها من المنافقين والمرتدين بالمال والسلاح، كما هو الحال في العراق مع مجاميع الغفلات المرتدة - الصحوات - الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم من الأمريكان والروافض، ورضوا بأخس المقامات في الدنيا والآخرة، **{ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ }**يونس:٨٨.

وكذلك ما بدأته الآن في الصومال بتنصيب الناكص على عقبيه المنتكس في دينه أحمد شيخ شريف رئيساً للصومال، وبالتالي قيادته لنسخة غفلات الصومال، وما يحاولونه الآن من استنساخ لتلك الجماعات الخبيثة على أرض أفغانستان لمحاربة الحق وأهله هناك، فحسبنا الله ونعم الوكيل، **{ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ! كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ! أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ! أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ! سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ! بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ! إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ ! يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ! إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ! وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ! وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ }** القمر: ٤١-٥١.

ثالثاً: زعمهم أنهم لم يغزوا بلاد المسلمين بجيوشهم الجرارة وأسلحتهم المدمرة إلا حرصاً على مصالح المسلمين، وحفاظاً على أوطانهم وحضاراتهم، وأنهم لا يقاتلون المجاهدين إلا من أجل تحقيق الأمن والاستقرار.

قال تعالى ذكره: **{ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ! يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ}** الأعراف: ١٠٩-١١٠، وقال جل وعلا: **{قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا...}** الأعراف: ١٢٣، وقال عز من قائل: **{ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى }** طه: ٥٧.

وسبحان الله، فما أشبه اليوم بالأمس، وما أشبه القوم بأجدادهم، أليس هذا ما تقوله أمريكا في هذا الزمان لأهل العراق وأفغانستان؟، أليس ما تروّجه وتشيعه أن المهاجرين من المجاهدين، الذين هبوا من كل صوب وحدب، ممتطين صهوات المنايا لنصرة إخوانهم، والذب عن أعراضهم، وحقن دماءهم، أنهم يريدون إخراجهم من بلادهم؟، ويريدون تدمير حضاراتهم؟، ونهب وسلب خيراتهم؟، فما أصدق قول القائل: "رمتني بدائها وانسلت" في أمريكا وأشياعها.

فعلى أيدي مَن هُجِّر المسلمون من العراق، وأفغانستان، والشيشان، والصومال، وكشمير، وفلسطين؟، وبسبب مَن تُبنى الملاجىء والمخيمات في شتى بقاع الأرض للمسلمين المشردين من النساء والأطفال والشيوخ المستضعفين؟، فلنسأل الفلسطينيين في مخيمات لبنان، مثل مخيم عين الحلوة، ومخيم نهر البارد، ومخيم تل الزعتر، ومخيم البداوي، ومخيم البراجنة، ومخيم صبرا وشاتيلا، ذاك المخيم الذي لم يكتف اليهود - هامان العصر - من

تشريد المستضعفين من الفلسطينيين إليه، بل لحقوا بهم هناك ليستأصلوا شأفتهم مع حلفاءهم من حركة أمل التي كان أحد زعمائها ومؤسسيها آنذاك عدو الله الرافضي الخبيث حسن نصر الله - فضح الله أمره وكشف ستره وأبان عواره عاجلاً غير آجل -، ولنسألهم في المخيمات السورية، مثل مخيم اليرموك، ومخيم الرمانة، ومخيم النيرب، ومخيم حطين، ومخيم حمص، ولنسألهم في المخيمات الأردنية أيضاً، كمخيم البقعة، ومخيم الزرقاء، ومخيم الحسين، ومخيم الوحدات، ومخيم غزة، ومخيم الكرامة، ولنسأل كذلك اللاجئين العراقيين في مخيم الرويشد في الأردن، ومخيم البوكمال ودير الزور في سوريا، ولنسأل اللاجئين الأفغان في إيران وفي باكستان، ولنسأل اللاجئين الصوماليين في مخيمات كينيا، ولنسأل إخواننا وأخواتنا الشيشان في مخيمات جورجيا وغيرها، فلنسألهم جميعاً: مَن الذي أخرجهم من ديارهم وطردهم؟، ومن الذي دمر بيوتهم وشرَّدهم؟، ولنسأل أطفالهم: من الذي قتل آباءهم ويتمهم؟، ومن الذي حرمهم من طفولتهم وشتتهم؟، ومن الذي أرعد فرائصهم وأرعبهم؟، ومتى عرفوا العدل والإنصاف وعاشوا في أمن وأمان واستقرار وعزة وكرامة؟.

أفي عهد الحكم بما أنزل الله الذي ما قاتل المجاهدون إلا من أجل رفع لوائه فوق ربوع المعمورة، كما كان الحال في إمارة أفغانستان الإسلامية في عهد إخواننا الطلبة، وكما كان الحال كذلك في الصومال تحت ظل سيطرة المحاكم الإسلامية - قبل أن يرتد بعض قادتها ومقاتليها على أعقابهم -، وكما كان الحال في الشيشان قبل الغزو الروسي الثاني؟.

أم في عهد الحكم بشرائع الطواغيت الشركية الظالمة المظلمة، من إشتراكية، وعلمانية، ورأسمالية، وديمقراطية، وغيرها من الشرائع التي لا تصلح لتحكم بها الحيوانات فضلاً عن أن يُحكم بها البشر؟، فهل يخفى الجواب على من كان عنده بقية من طرف مبصر أو قلب منصف؟، فوالذي لا إله إلا هو ما انتفض المجاهدون في مشارق الأرض ومغاربها إلا من أجل تحقيق ما تدعي أمريكا وحلفائها تحقيقه كذباً وزوراً وبهتاناً، من أمن واستقرار، وما طاروا على متون عزائمهم إذ سمعوا الهيعة والفزعة إلا ذباً عن أعراض الأمة وحقناً لدمائها، وحفاظاً على خيراتها وحضارتها، وعلى رأس ذلك كله، حرصهم على ألا يُبَدِّلَ الطواغيت دينها المنزل من عند فاطر السماوات والأرض، ويخنثوا عقيدتها بفكر مُسَمَّم، فتنقلب على أعقابها وتبوء عندها بخسارة الدنيا والآخرة.

فحريٌّ بالأمة الإسلامية الموحدة أن لا ترفع رأسها من سجود شكر تؤدي فيه الحق الذي عليها لمولاها سبحانه وتعالى، إذ يسّر لها أمثال هؤلاء المجاهدين الربانيين، ليعيدوا للأمة أمجادها المدروسة، ويرتقوا بها إلى ذرى العز بقرآنٍ يهدي وسيفٍ ينصر.

رابعاً: تشكيكهم في غايات وأهداف المجاهدين، وتشويه عقيدتهم والطعن فيها، ليسوغوا قتل المجاهدين وقتالهم، واستعانتهم في ذلك بفتاوى العلماء!! - الملأ من قوم فرعون - ليأخذ مسلسل سفك دماء المجاهدين الصبغة الشرعية.

قال جل شأنه وتعالى ذكره **{ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ }** يونس:٧٨، وقال جل جلاله: **{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ}** غافر:٢٦، وقال عز وجل: **{ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ }** الأعراف:١٢٧، ففي هذه الآيات الكريمة يظهر جلياً جهد فرعون وملإه لتشكيك الناس بدعوة موسعليه الصلاة والسلام وكذلك تشكيكهم في غاياته وأهدافه، فتارة - كما في الآية الأولى - يزعمون أن الغاية من وراء دعوة موسعليه الصلاة والسلام للناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما كان عليه آباؤهم من شرك وضلال، ما هي إلا من أجل أن يكون له الكبرياء في الأرض.

وتارة - كما في الآية الثانية - يتهمونه بأن الهدف من دعوته للناس إلى دين الإسلام الذي بعثه الله به، ونبذ ما دونه من أديان باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، ما هو إلا لإظهار الفساد في الأرض، وبالتالي فإنهم لا يريدون قتال موسعليه الصلاة والسلام والذين آمنوا معه إلا درءاً للفساد، وأطراً للفتنة، وخوفاً من أن يكون لهم الكبرياء في الأرض، وحرصاً على دينهم، وحفظاً لعقيدتهم، وقد قيل من قبل: إذا عرف السبب بطل العجب!!!.

ولكن الفساد الحقيقي الذي يخشاه فرعون ولا يخشى غيره، والرعب الذي أرعد فرائصه، وزلزل عرشه، وهدد ملكه وسلطانه، فتركه وليس له طرفٌ يغمض، ولا قلب بغير الفَرَق ينبض، هو أن يذر الناس إلهته، ويكفروا بربوبيته، وينسلخوا من دينه وعبوديته، وهذا ما جلاّه الله سبحانه وتعالى في قوله: **{ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ... }** الأعراف:١٢٧، فإن هذا مما لا يرضاه فرعون وورثته بحال، بل إن تركهم لمن شهد لله بالوحدانية لهو من ضرب المحال، وكيف يرتضيه وهو القائل: **{ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي }** القصص:٣٨، وهو وحده الوازع الذي حمله على أن يحدد بسرعة، وبدون أدنى حيرة الحل المناسب لقمع هذا الفساد العريض -كما صوره للناس- الذي يخشاه وملأُه!: **{ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ }** الأعراف:١٢٧، وإذا كانت الأسباب كما ذكرنا آنفاً فقتل فرعون وهامان وجنودهما لنبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، والمستضعفين من الأطفال والنساء والشيوخ

العزّل، ليس من جنس الفساد في شيء، بل إنما هو عين سبيل الرشاد، **{ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ }** غافر:٢٩.

وإذا نظرت إلى أسلوب فرعون هذا الزمان أمريكا وملأها في مكرهم للمجاهدين في هذا الباب، فإنك ستجدهم وقد عضوا على سنة مورثهم بالنواجذ، ولم يحيدوا عنها قيد أنملة: **{ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ }** الذاريات:٥٣.

فها هي أمريكا ومن تكالب معها على عباد الله الموحدين في مشارق الأرض ومغاربها الذين يقاتلونها ومن ظاهرها **{ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ }** الأنفال:٣٩، قد أحيوا تلك السنة وتتبعوها شبراً بشبر وذراعاً بذراع في قمع المجاهدين، ورثة الأنبياء والمرسلين، ومن سار على نهجهم من الصالحين، فلم ينثنوا عن الطعن في عقيدتهم وتشويهها، ولم يألوا جهداً في سبيل تشكيك الناس في غاياتهم وأهدافهم.

فعلى الصعيد الخارجي- أي الشعوب الغربية- فإنهم يحذرون شعوبهم من دين الإسلام جملة وتفصيلاً، وأن المسلمين يريدون أن يبدلوا دينهم، ويسفكوا دماءهم، ويريدون أن تكون لهم الكبرياء في الأرض، ومن ثم سلب حرياتهم، ويقولون لهم: انظروا كيف يقطع هؤلاء يد السارق، وكيف يجلدون أو يرجمون الزانية والزاني، وكيف يقتلون من قتل نفساً بغير حق، وكيف..... وكيف، وأوهموهم أن في ديمقراطيتهم التي تبيح السرقة إذا كانت وفق قوانينهم، وتحلل لهم الزنى إذا كان بمحض إرادة الزناة، وتأذن لهم بالقتل ما دام على أيديهم، وأقنعوهم أن في ذلك السلامة والنجاة، ليصرفوهم عن ديننا وشريعتنا اللذين هما روح الحياة، فلا حياة بدونهما، ولا نجاة أو سلامة بغيرهما، **{ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ }** البقرة:١٧٩، بل إن الذل كل الذل والمهانة والصغار والخسران المبين في الدنيا والآخرة في الرغوب عن دين الإسلام، وابتغاء غيره من الأديان الباطلة، والتشريعات الوضعية العفنة، **{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }** آل عمران:٨٥.

وأما على الصعيد الداخلي - الأمة الإسلامية - فإنهم قد اتخذوا ممن باع دينه بأبخس ثمن، دنيا دنية، درهم باطل، وشرف زائل - وليتهم إذ باعوا دينهم باعوه بدنياهم بل إن أولئك السفلة الحمقى قد باعوا دينهم بدنيا غيرهم - أبواقاً ينعقون بها من علماء السوء، يهود القبلة، الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، وكتموا ما أنزل الله من البينات والهدى، وأنكروا أموراً معلومةً بالإضطرار من دين العزيز الجبار إرضاءً لأوليائهم من الطواغيت، فأصبح دفع العدو الصائل الذي يريد فساد الدين والدنيا والذي أطبق علماء الأمة الربانيون سلفاً وخلفاً على تعيين وجوبه، إرهاباً وفسادا، والقيام لحفظ أعراض المسلمات الطاهرات من أن يطأهن

نجس كفور، غلوّاً وتطرفا، والكفر بالشرائع المخالفة لشرع الله المناقضة له، تعسّفاً وجهلا، ونزع يد الطاعة ممن رأينا منه كفراً بواحاً عندنا من الله فيه برهان، خروجاً وبغياً، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ! أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ } البقرة:١٧٤- ١٧٥.

ولله درُّ شيخ الإسلام عبدالله ابن المبارك رحمه الله تعالى حيث قال:

وهـــل أفســـد الـــدين إلا الملـــوك ... وأحبـــــار ســـــوء ورهبانهـــــا
وبـــاعوا النفـــوس فلـــم يربحـــوا ... وفي البيـــــع لم تغـــــل أثمانهـــــا
لقـــد وقـــع القـــوم في جيفـــة ... يبـــين لـــذي العقـــل إنتانهـــا

فمن هم الخوارج حقيقةً ؟، الذين لم تجرد سيوفهم إلاّ للذب عن أوليائهم من اليهود والصليبيين وأذنابهم المرتدين؟، ولم تنبر رماحهم إلا للطعن في أعراض المجاهدين؟، ولم ولن يرمى بسهامهم إلا من قام للذب عن حياض الدين؟.

أم المجاهدون الذين:

قلـــوبهم طهـــر يفـــيض علـــى الـــورى ... وأيـــديهم تأســـوا جـــراح الخوافـــق
هـــم السلســـل الصـــافي علـــى كـــل مـــؤمن ... وفي حومـــة الهيجـــاء نـــار الصـــواعق
هـــم الحلـــم الريـــان في وقـــدة الظمـــا ... ولـــيس في الآفـــاق طيـــف لبـــارق
هـــم الأمـــل المرجـــو إن خـــاب مأمـــل ... وأوهـــن بعـــد الشـــوط صـــبر الســـوابق
كـــأني أراهـــم والـــدنا ليســـت الـــدنا ... صـــلاحاً ونـــور الله مـــلء المشـــارق
أقـــاموا عمـــود الـــدين مـــن بعـــد صـــدعه ... وأعلـــوا لـــواء الحـــق فـــوق الخلائـــق

آلذين آزروا وناصروا من خرج على شريعة الإسلام، ووالى اليهود والصليبيين اللئام؟، أم الذين خرجوا على الشرك وأهله، وقاموا لدحر الظلم وقهره، الذين امتلأت قلوبهم غيرة

على دينهم، وعلى أعراض الأمة ودماءها، فلم تمتد الدياثة إلى قلوبهم سبيلاً، لا في دين الأمة، ولا في أعراضها ودماءها، ولم تخنّث عزيمتهم في الذب عن ذلك كله؟.

فهذه هي حقيقة أولئك الرجال، ومنزلتهم التي حق للأمة أن تنزلهم إياها، وصفاتهم التي ما عرفت الأمة لها وجوداً إلا في بطون كتب التأريخ والسير.

ويفصل بيننا حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، بأبي هو وأمي والناس أجمعين، مبيناً من همالخوارج حقيقةً إذ وصفهم فقال: ((**يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان**))، فإننا والله لا نسمع عواء أولئك الزنادقة ونعيقهم بالشجب والاستنكار إلا إذا نزلت قطرة دمٍ نجسة من أحد أوليائهم من اليهود والصليبيين، والتي لا تهرق إلا دفعاً لصولة صاحبها وفساده، أو أطراً وقطعاً لدابر ظلمه وطغيانه، وفي أقل تقدير، فإنها تكون من باب المعاملة بالمثل والتي شرعها لنا العزيز الحكيم سبحانه.

أما دماء المسلمين التي تسفك ليل نهار على أيدي أوليائهم من اليهود والنصارى والشيوعيين وغيرهم من ملل الشرك والكفر في مشارق الأرض ومغاربها، فلا تحرك في أولئك الخونة ساكناً، ولا نسمع لهم شجباً ولا استنكاراً، ولا نرى لهم إلا رؤوساً قد طأطأت بالخزي والعار، بعد أن أفلسوا من تبريراتهم الواهية لأوليائهم، وبعد أن استنفذوا ما في جعبتهم من أعذار ساقطة يرقعون بها لأربابهم، فإلى الله المشتكى.

خامساً: تعييرهم للمجاهدين بما يقع منهم من أخطاء، وتجييشها لصرف الناس عنهم وعن دعوتهم الجهادية المباركة، ومن ثم تصدير تلك الأخطاء للناس على أنها هي الأصل الذي ينطلق منه المجاهدون، وهي المنهاج الذي عليه يسيرون.

قال الله جل وعلا على لسان فرعون في تعييره لموسعليه الصلاة والسلام بقتل الرجل من آل فرعون: **{ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ }** الشعراء:١٩، فإنك ترى في هذه الآية أن سفّاك الدماء فرعون، الذي قتّل أطفال بني إسرائيل الأبرياء الذين لا حول لهم ولا قوة، بدمٍ بارد مع سبق الإصرار والترصد، وقلب لا يعرف لمفردات الرحمة أو مبادىء الإنسانية أي معنى، يربأ بنفسه في هذه الآية، بل ويعف لسانه عن النطق بكلمة "القتل"، فإنه لم يقل "قتلت نفساً" بل إنه قال متأنّفاً: **{ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ }** الشعراء:١٩، لأن هذه الكلمات أبلغ في إستنكار ما فعله موسعليه الصلاة والسلام، رغم أنه عليه الصلاة والسلام قد قتل ذلك الرجل من آل فرعون قبل أن يبعثه الله برسالته ابتداءً، ولم يكن عليه الصلاة والسلام يقصد قتله البتة، بل إن الحادث لم يكن إلا عن محض الخطأ كما هو معلوم من قصة موسعليه الصلاة والسلام.

ورغم أن تلك الحادثة لم تقع إلا مرة واحدة، ولم تكن تلك الحادثة مقصودة أصلاً، إلا أن فرعون - لعنه الله - لم يفوت فرصة استغلالها في الطعن بدعوة موسىعليه الصلاة والسلام، وإبرازها كدليل على ما يروّجه من الأباطيل التي ذكرناها آنفاً.

وأنقل هنا كلاماً لشيخنا العلاّمة أبي محمد المقدسي - حفظه الله تعالى - من مقدمته لرسالة فصل المقال، نبّه فيه على أن إبراز ما يقع فيه المجاهدون والعلماء والدعاة من أخطاء، والتركيز عليها وإشاعتها، وإشغال الناس بها، هو أحد أساليب أعداء الدين لصرف الناس عن دعوتهم، فقال حفظه الله: "وتتنوع أساليب اللّغو في القرآن وتتطور وتتجدد أساليب الصد عنه بحسب كل عصرٍ وزمان، ويبقى ذلك أسلوباً من أساليب الحرب على دين الله وسبيلاً من سبل المجرمين لأجل توهين الدين، وقال عز وجل في صرف الفراعنة للناس عن خطاب الرسل وأصل دعوتهم وحرفهم عن ذلك بالتركيز على إظهار بعض أخطاء الدعاة وإشغالهم بها: **{ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ }** الشعراء:١٩........، فهؤلاء يسيرون على نهج الكفار والفراعنة والمنافقين، ويستخدمون أساليبهم في تعيير المؤمنين بأخطائهم وإبرازها للناس لتشويه دعوتهم وصد الناس وصرفهم عن سبيلهم وغير ذلك مما أبان الله عزّ وجلّ في كتابه من أساليبهم الخبيثة". انتهى كلامه حفظه الله.

وكالعادة، فإن أمريكا قد استفادت من هذا الدرس وطبقته على أرض الواقع بحذافيره، فإذا وقع إخواننا في خطأ ما، وأكرر فأقول في خطأ ما، لأن إخواننا المجاهدين ليسوا بمعصومين عن الخطأ، فالخطأ لازمٌ لابن آدم لا بد ولا محالة، مجاهدٍ كان أم عالمٍ أم أيٍّ كانت صفته، ونحن لا ننفي في هذا المقام احتمالية وقوع إخواننا المجاهدين في بعض الأخطاء وخاصة في ظروف المعركة الضروس التي يخوضونها مع ملة الكفر التي تكالبت عليهم من تحالف غربي صليبي، وأشياعهم من مرتدين، وروافض، وصحوات، وغيرهم - لعنهم الله وشتت جمعهم -.

فلو أدركت الأمة حقيقة وضراوة المعركة التي يخوضها أبناؤها المجاهدون في بلاد الرافدين، وعظم المقام الذي أقامهم الله سبحانه وتعالى فيه، لما استطاع الإعلام العميل أن يلفتها ويشغلها عن نصرة أولئك الأبطال بتلك الأخطاء ولو لطرفة عين، فكما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

ولست أقصد ب"الخطأ" هنا مسألة التترس التي أجمع علماء الأمة فيها على جواز رمي الكفار المتترسين بالمسلمين ولو أدى ذلك إلى قتل المتترس بهم إذا كان تركهم يفضي إلى تعطيل الجهاد وبالتالي إستيلاء العدو الصائل على بلاد المسلمين لتتحقق بذلك الفتنة -

الشرك - التي أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بقتال أهلها للحيلولة دون تحقيقها، ولبسط هذه المسألة مقامات أخرى، وليس هذا المقام بواحد منها، ولكن"الخطأ" الذي نقصده هو من النوع الذي أشار إليه أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله في خطابه الذي كان بعنوان" دعوا عَطِيَّةَ الله فهو أَعلم بما يقول" حيث قال:

"في بعض الأحايين يترجح عند الإخوة بعض الأمارات والدلالات أن فلانًا من الناس ممن يتعامل مع الكافر المحتل، ويعين على حرب المجاهدين، فيقوموا بقتله، ثم يتبين لهم بعد ذلك أن المقتول كان بريئًا مما نُسب إليه، وأن القتل كان خطأً، فما يكون من الإخوة إلا استرضاء ولي المقتول، ودفع ديته، والاعتذار عما قاموا به من القتل الخطأ". انتهى كلامه رحمه الله.

روى البخاري في صحيحه من طريق عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صبأنا، صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره فقلت والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكرناه، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فقال: **((اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد))** مرتين). البخاري:٧١٨٩، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه سيف من سيوف الله وصحابي جليل من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجتهد في حكم فأخطأ فيه مما أدى إلى قتل بعض من أراد الإسلام بقولهم "صبأنا" ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبرأ من صنيع خالد ذاك إلا أنه لم يتبرأ منه بل ولم يعزله من قيادة جيش المسلمين لمجرد ذلك الخطأ الذي هو من باب الخطأ الاجتهادي المغفور إن شاء الله، كما جاء في حديث الاجتهاد.

قال ابن حجر في الفتح: "هذا من ابن عمر راوي الحديث يدل على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة، ويؤيده فهمه أن قريشا كانوا يقولون لكل من أسلم صبأ حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذم، ومن ثم لما أسلم ثمامة ابن أثال وقدم مكة معتمرا قالوا له: صبأت؟، قال: لا بل أسلمت. فلما اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعملها هؤلاء، وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها لأن قولهم صبأنا أي خرجنا من دين إلى دين، ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام، وقال الخطابي: يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولا قولهم". فتح الباري:١٤٩/١٢، وقال ابن

بطال في شرح البخاري: "قال المهلب: ولم يفهم خالد من قوله: "صبأنا" أنهم يريدون به أسلمنا، ولكن حمل اللفظة على ظاهرها، وتأولها أنها في معنى الكفر؛ فلذلك قتلهم، ثم تبين أنهم أرادوا بها أسلمنا فجهلوا فقالوا: صبأنا. وإنما قالوا ذلك لأن قريشًا كانت تقول لمن أسلم مع النبي: صبأ فلان حتى صارت هذه اللفظة معروفة عند الكفار وعادة جارية، فقالها هؤلاء القوم، فتأولها خالد على وجهها، فعذره النبي بتأويله، ولم يقد منه". شرح ابن بطال:٩/٤٣٢.

فنحن لا ننكر أن بعض إخواننا المجاهدين قد يقعون في بعض الأخطاء كما أسلفنا، ولكننا ننفي أن تكون تلك الأخطاء هي المنهاج الذي يسير عليه إخواننا المجاهدون، ونبريء إخواننا مما ترميهم به أمريكا وعملاؤها من ألوان الزور والإفك والبهتان من خلال إبرازهم لتلك الأخطاء الآحادية الفردية على أنها الإستراتيجية المتبعة في جهادهم، وأن المجاهدين لا يتورعون في دماء المسلمين عند تنفيذهم العمليات الاستشهادية.

ولقد استطاع إخواننا المجاهدون بفضل الله سبحانه وتعالى نسف ما تحاول أمريكا إشاعته من زور وبهتان في شتى وسائل إعلامها الخبيث، كقناة العربية العميلة وبرنامجها المسمى بصناعة الموت، وغيرها من القنوات العميلة، من خلال ما قاموا بنشره من العمليات المصورة، فكم من عملية أُجّلت، وكم من تنفيذٍ أوقفه المجاهدون لوجود بعض المسلمين في موقع التنفيذ، أو حتى بالقرب منه، مما أثبت حرص إخواننا على حقن دماء المسلمين ولو كانت قطرة دمٍ واحدة.

وإذا ما قسنا أخطاء المجاهدين على قلّتها، لأنهم والله أبعد الناس عن الخطأ وأقربهم إلى الصواب، كيف لا وقد أخبرنا ربنا بذلك إذ قال: **{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }** العنكبوت:٦٩.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولهذا كان الجهاد موجبا للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم، كما دل عليه قوله تعالى: **{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا }** فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى، ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما: إذا اختلف الناس في شيء **فانظروا ماذا عليه أهل الثغر فإن الحق معهم**، لأن الله يقول: **{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا }**". أهـ مجموع الفتاوى: ٢٨/٤٤٢.

فإذا قسنا تلك الأخطاء القليلة، مع أخطاء - زعموا - فرعون العصر أمريكا التي لا تعد ولا تحصى، فإننا سنجدها بمنزلة القذى من الجذع، والقطرة من المحيط، فلا يكاد يمر أسبوع إلا ويأتينا خبر مقتل المئات من المدنيين في قصف للطائرات الأمريكية، استهدف عرساً أو مسجداً أو سوقاً، عن طريق الخطأ !!!!، وحدث ولا حرج عن استهداف وقتل المدنيين "العمد" في فلسطين على أيدي السفاح هامان "إسرائيل" وبمباركة فرعون العصر أمريكا.

ولم تعد ازدواجية المعايير التي يكيل بها أوتاد فرعون الذين خانوا الله وخانوا دينه ورسوله والمؤمنين تلك الأخطاء مستغربة البتة، فإذا كان الخطأ من جهة المجاهدين قامت الدنيا ولم تقعد، وأذاعه أذناب أمريكا، وأبرزوه للناس في وسائل إعلامهم الخبيث، وطبلوا به وزمروا الدهر كله، وأما إذا كان الخطأ أمريكي "الجنسية" والذي لا يعد ولا يحصى، فإنك تجد رسل الفساد عندها، أذناب أمريكا صمٌّ بكمٌ عمي، يمر الخبر على آذانهم مرور الكرام، لا يلتفتون إليه طرفة عين، بل إنهم ليبذلون قصارى جهدهم للفت الناس عنه، فلعنة الله على الرأس منهم والذنب وكل ما بين ذلك.

رسل الفساد وما حلوا وما رحلوا ... إلا وكانوا أعدى به من الجرب
ألفاظهم عرب والفعل مختلفٌ وكم ... حوى اللفظ من زورٍ ومن كذب
إن العروبة ثوبٌ يخدعون به ... وهم يرومون طعن الدين والعرب
واحسرتى على قومي غرهم قرمٌ ... سعى إليهم بجلد المنقذ الحدب
حتى إذا أمكنته فرصةٌ برزت ... حمر المخالب بين الشك والعجب
والمدعون هوى الإسلام سيفهم ... مع الأعادي على أبنائه النجب
يخادعون به أو يتقون به ... وما له رفد منهم سوى الخطب

غرباء الدين والدنيا

قد يظن بعض من قصر ثوبه، أو أعفى لحيته، أو التزم ببعض السنن المهجورة، أنّه يكون قد بلغ بذلك غاية الغربة التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، نعم، قد يكون ذلك جزءاً من مظاهر غربة هذا الدين، خاصة في زمن انتشرت فيه البدع، وأينعت رؤوس أصحابها، وفي زمن استفحل فيه الجهل، واستشر فيه الظلم، وعم فيه الفساد، وظهرت فيه المعاصي، وصار المعروف فيه منكرا، والمنكر فيه معروفا، وترجلت فيه النساء، وَ"تَنَسْوَنَ" فيه الرجال، فلا تكاد تفرق في هذا الزمان بين الذكر والأنثى من شدة تشبه بعضهم ببعض، بحيث أصبحت اللحية والثوب القصير للرجال تخلفا، وأصبح الحجاب والجلباب للنساء تزمتا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولكننا لو تدبرنا حديث الغربة لوجدنا أن حقيقة الغربة المقصودة فيه وقطبها، وأشدها مرارة وأعظمها وطأة على نفوس أهلها هي غربة كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، وبالتالي فإن أشد الناس غربة أفهمهم وأعلمهم لمعناها، وأكثرهم تحقيقاً لشروطها وعملاً بمقتضياتها، وأبعدهم وأبرؤهم من نواقضها.

فكل غربة في الدين هي تبع لغربة لا إله إلا الله، وبحسب غربة هذا الركن من أركان الدين أو ظهوره تكون غربة الأركان الأربعة من بعده وما يلحق بها من السنن أو ظهورها.

ولتقرير ما ذكرناه آنفا من أن المقصود من حديث الغربة هي غربة لا إله إلا الله، فلا بد لنا أن نسوق الحديث بنصه للوقوف على بعض مفرداته التي استشهدنا بها، فنقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء**)) مسلم:١٤٥، وجاء في رواية أحمد: قيل يا رسول الله ومن الغرباء؟، قال: "**الذين يصلحون إذا فسد الناس**"، وعند ابن ماجه: قيل ومن الغرباء؟، قال: "**النزاع من القبائل**".

فقوله صلى الله عليه وسلم: ((**وسيعود كما بدأ غريباً**)) يدل على أن طبيعة وماهية غربة الإسلام في آخر الزمان تكون كطبيعة وماهية غربة الإسلام الأولى تماماً، فحرف الكاف في كلمة "كما" يدل على التشبيه، وحرف "ما" يدل على الماهية كما هو معلوم.

قال الإمام الآجري رحمه الله تعالى:" قال محمد بن الحسين رحمه الله: فإن قال قائل: ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ**))؟، قيل له:

كان الناس قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم أهل أديان مختلفة، يهود ونصارى ومجوس وعبدة أوثان، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان من أسلم من كل طبقة منهم غريباً في حيه، غريباً في قبيلته، مستخفياً بإسلامه، قد جفاه الأهل والعشيرة، فهو بينهم ذليل حقير، محتمل للجفاء، صابر على الأذى، حتى أعز الله عز وجل الإسلام، وكثر أنصاره وعلا أهل الحق، وانقمع أهل الباطل، فكان الإسلام في ابتدائه غريباً بهذا المعنى، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((**وسيعود غريباً**)) معناه والله أعلم: أن الأهواء المضلة تكثر فيضل بها كثير من الناس ويبقى أهل الحق الذين هم على شريعة الإسلام غرباء في الناس لقلتهم" أهـ. الغرباء ص١٠، وقال الطحاوي في مشكل الآثار بعد أن ساق بعض روايات الحديث: "فتأملنا هذه الآثار، فوجدنا الإسلام دخل على أشياء ليست من أشكاله فكان بذلك معها غريبا لا يعرف، كما يقال لمن نزل على قوم لايعرفونه: إنه غريب بينهم، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يعود كذلك، فيكون من نزع عن ما عليه الخلة المذمومة إلى ما كانت عليه الخلة المحمودة غريبا بينهم" مشكل الآثار:١٩٢/٢.

ولو قرأنا في كتب السير والتأريخ نجد أن كيفية بداية الإسلام وماهية غربته لم تكن في الصلاة بتاتاً إذ أن الصلاة لم تفرض على الأمة إلا ليلة عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء في السنة العاشرة من البعثة على أختيار بعض أهل السير، ولم تكن بداية الإسلام وغربته في الجهاد - القتال - الذي لم يأذن الله سبحانه وتعالى به إلا بعد هجرة نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، فضلاً عن أن تكون الغربة الأولى في طول اللحية أو قصر الثوب، أو في الصدق والأمانة وغيرها من مكارم الأخلاق ومحاسنها التي لا يخفى على أحد أن كفار قريش خاصة والمشركين العرب عامة كانوا يتنافسون فيها، مثل الكرم والجود وإقراء الضيف ونصرة المظلوم وإعانة الضعيف، بل لا يزال بعضهم يُضرب به المثل في بعض تلك الخصال الحميدة إلى يومنا هذا، رغم موت بعضهم على الشرك والكفر قبل البعثة، مثل حاتم الطائي وعبدالله بن جدعان وغيرهم.

وكانوا كذلك يغيرون على بعضهم البعض ويقاتلون بعضهم البعض، إما لنزعات جاهلية أحياناً، وإما حرصاً وحفاظاً على أعراضهم أحياناً أخرى، فالغيرة على الأعراض، والقتال دونها كان أمراً معروفاً في الجاهلية الأولى، ومطلباً فطرياً لا تقوم رجولة أحدهم ولا مروءته إلا به، حتى بلغت الغيرة ببعضهم على عرضه أن يئد ابنته حيةً خشية أن تقع في سبي العدو.

ولسنا نطري على هذا الفعل الجاهلي المقيت بحال، وإنما المقصود هو الإشارة إلى غيرة أولئك القوم على أعراضهم رغم شركهم وكفرهم، وقياسها على دياثة بعض أهل هذا الزمان

على أعراضهم خاصة، وأعراض الأمة عامة رغم انتسابهم للإسلام، وزعمهم الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي غزا بني قينقاع قاطبة من أجل امرأة مسلمة واحدة كشف سوءتها يهودي واحد.

على العكس تماماً من حال الأدعياء في زماننا هذا، فإنك ترى بعض من انتكست فطرته منهم يطيب عيشه ويهنأ قلبه وتقر عينه وهو يرى أخواتنا المسلمات الطاهرات وقد وقعن سبايا وعوانٍ تحت وطأة أنجس وأخس قوم في زماننا من الذين اجتمعت فيهم خصال الرذيلة كلها، ولا يزال يبحث في حكم الجهاد أهو فرض عين أم فرض كفاية؟، وهل الراية واضحة أم غير واضحة؟، وهل يشترط إذن ولي الخمر أم لا يشترط؟.

كل ذلك في وقت يغتصب فيه عباد الصليب النجس أخواتنا العواني في سجونهم، حتى بلغ بأولئك الكلاب النجس أن يطأوا إحدى أخواتنا العواني في سجن أبي غريب أكثر من تسع مرّات في يوم واحد، فإلى الله المشتكى، وأحسن أولئك حالاً من تباكى ببضع عبراتٍ تتعذر بهن نفسه للقعود عن الجهاد، فالله المستعان وعليه التكلان.

تبكي الحنيفية البيضاء من أسفٍ ... كما بكى لفراق الإلف هيمانُ
على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عُمرانُ
حيث المساجد قد صارت كنائس ... ما فيهن إلا نواقيس وصلبانُ
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدانُ
يا غافلاً وله في الدهر موعظة ... إن كنت في سِنَةٍ فالدهر يقظانُ
وماشيا مرحا يلهيه موطنهُ ... أبعد العراق*تَغُرُّ المرء أوطانُ
تلك المصيبةُ أنست ما تقدمها ... وما لها مع طول الدهر نسيانُ
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السبق عقبانُ
وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها في ظلام النقع نيرانُ
وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ
أعندكم نبأ من أهل إسلامٍ ... فقد سرى بحديث القوم ركبانُ
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسانُ
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله إخوانُ

ألا نفـــوس أبيَـــات لهــــا همـــــم ... أمـــا علـــى الخـــيرِ أنصـــارٌ وأعـــوانُ
يـــا مـــن لذلـــة قـــوم بعـــد عـــزهم ... أحـــــال حـــــالهم جـــــور وطغيـــــانُ
بـــالأمس كـــانوا ملوكـــا في منـــازلهم ... واليـــوم هـــم في بـــلاد الكفـــر عُبـــدانُ
فلـــو تـــراهم حيـــارى لا دليـــل لهـــم ... علـــيهم مـــن ثيـــاب الـــذل ألـــوانُ
ولـــو رأيـــت بكـــاهم عنـــد بـــيعهم ... لهالـــك الأمـــر واســـتهوتك أحـــزانُ
يـــا رُبَّ أمٍّ وطفـــلٍ حيـــل بينهمـــا ... كمـــا تفـــرق أرواح وأبـــدانُ
وطفلـــة مثـــل حســـن الشـــمس إذ ... طلعـــت كأنمـــا هـــي يـــاقوتٌ ومرجـــانُ
يقودهـــا العلـــج للمكـــروه مكرهـــة ... والعـــينُ باكيـــة والقلـــب حـــيرانُ
لمثـــل هـــذا يبكـــي القلـــب مـــن كمـــد ... إن كـــان في القلـــب إســـلام وإيمـــانُ

والحاصل أن غربة الإسلام الأولى لم تكن في حج وصلاة وقتال، ولم يكن صاحب الخلق الكريم غريباً، ولكن الغربة كانت في حقيقة معنى "لا إله إلا الله"، والغريب من كان من أهل هذه الكلمة مؤمناً راضياً بها، محققاً لشروطها، عاملاً بمقتضاها، مستبرءاً من نواقضها.

روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس أنه قال: (لما أن مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل، قال: فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته، فبعث إليه أو قال: جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب مجلس رجل، قال: فخشي أبو جهل إن جلس النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد النبي صلى الله عليه وسلم مجلساً قرب عمه، فجلس عند الباب، قال أبو طالب: أي ابن أخي ! ما بال قومك يشكونك؟، يزعمون أنك تشتم آلهتم وتقول وتقول وتفعل وتفعل، قال: فأكثروا عليه من اللحو، قال: فتكلم النبي عليه الصلاة والسلام فقال: **"يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية"**، قال: ففزعوا لكلمته ولقوله، قال: فقال القوم: كلمة واحدة، نعم وأبيك وعشرا، قال: وما هي؟، قال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟، قال: **"لا إله إلا الله"**، قال: فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: (**أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب**). مصنف ابن أبي شيبة: ٤٤٢/٨.

فهذا أبو جهل فرعون هذه الأمة - لعنه الله - وجماعة من صناديد قريش يوافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم على إرادته إياهم على كلمة يقولونها، بل استعد القوم أن يزيدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الكلمة عشراً، ولكن لما طرقت كلمة التوحيد آذانهم أيقن القوم أن المسألة ليست مسألة كلام وحسب، لأنهم كانوا يعلمون حق العلم أن كلمة "لا إله إلا الله" ليست مجرد أحرف تنطق بها ألسنتهم دون أن يكون لها أي تأثير في واقع حياتهم، بل إن كلمة "لا إله إلا الله" هي منهج حياة كامل شامل، وفهم القوم ما يلزمهم من قول "لا إله إلا الله" إذا هم قالوها، ما يعجز عن فهمه كثير ممن يقولها في هذا الزمان من أدعياء العلم فضلاً عن العوام، وهذا ما جاء واضحاً جلياً في قولهم: **(أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب)**، فعلموا أنه من قال لا إله إلا الله لا يحل له أن يدعو أحداً غير الله، ولا يذبح إلا لله، ولا يصلي إلا لله، ولا يحج إلا لله، ولا يخشى إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يتخذ أنداداً يحبهم كحب الله، ولا يتحاكم إلا لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا يشرع مع الله، لا يحب إلا في الله، ولا يبغض إلا في الله، لا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، لا يسالم إلا في الله، ولا يقاتل إلا في الله، فحياته كلها لله وفي الله، **{ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ! لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }** الأنعام:١٦٢-١٦٣.

ولذلك فإنه كان يلحق الواحد من الغرباء الأولين الذين قالوا لا إله إلا الله عن فهم لمعانيها ورضىً بمقتضياتها ولوازمها، صادقين خالصين من قلوبهم، وكفروا بما يعبد من دون الله ودعوا الناس إلى قولها والإيمان بها، من أصناف الأذى ما تقشعر منه الأبدان، وعلى رأسهم سيد البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في مسند ابن أبي شيبة من حديث ربيعة بن عباد الديلي وكان جاهليا فأسلم، قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة بسوق ذي المجاز، وأنا في بياعة لي أبيعها، ومر عليه جبة له حمراء ينادي بأعلى صوته: " **أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**"، قال: ورجل يتبعه بالحجارة، وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه، ويقول: يا أيها الناس لا تطيعوه، فإنه كذاب، قلت: من هذا؟، قالوا: هذا غلام بني عبد المطلب، قلت: فمن هذا الذي يتبعه يرميه؟، قالوا: عمه عبد العزى، وهو أبو لهب) مسند ابن أبي شيبة:٣/ص٧٥.

فأي غربة فوق تلك الغربة التي تسقط فيها جميع المبادىء الإنسانية، بحيث يكون ألد أعداء المرء أبوه أو أمه أو أخوه أو عمه، ومن ثم فهو غريب على أرض وطنه غريب بين أهله.

وهذا لعمر الله حال "لا إله إلا الله" في هذا الزمان، فلقد عادت غريبة بمفهومها المراد كما بدأت تماماً، وكذلك حال أهلها في هذا الزمان، فهم الغرباء الجدد إذ فهموا المراد من قول "لا إله إلا الله" وسعوا لتحقيقه، فكم من موحد في هذا الزمان يتجرع مرارة الغربة رغم وجوده في مسقط رأسه وبين ظهراني أهله، وكم من شاب موحد عزره أو ضربه والده أو حاربته أمه أو عذبه أخوه أو أسلمه أقاربه وعشيرته إلى الطواغيت وجنودهم ليسوموه سوء العذاب، ويردوه عن دينه إن استطاعوا، ليس لشيء إلا لتحقيقه شقي كلمة التوحيد من كفر بالطاغوت وإيمان بالله.

ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى قد هدى إخواننا المجاهدين بمنه وفضله وكرمه لحمل السلاح ليدفعوا به غربتهم لأن خيار الجهاد، لا أقول بأنه الخيار الأمثل، بل إنني أقول إن الجهاد هو الخيار الأوحد لدفع غربة الدين التي نتجرع مرارة حنظلها ليل نهار، وهذا هو الخيار الذي عزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام لدفع الغربة الأولى، إذ كانت الخطوة الأولى هجرتهم من مكة إلى المدينة، ثم بدأت ضرباتهم القاصمة لظهر الكفر وأهله تتوالى حتى جاءهم الله جل وعلا بنصره المؤزر وفتحه الأكبر.

فغربة لا إله إلا الله لا سبيل لدفعها إلا بالجهاد في سبيل الله، الذي ليس لسالك دربه إلا الفوز بإحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة، فهذان المطلبان غاية ما يرومه كل من خالط الإيمان بشاشة قلبه وذاق حلاوته.

فبالنصر تقوم دولة الإسلام على أصل ثابت وفرع في السماء، ومن ثم تندحر غربة الدين الكبرى غربة "لا إله إلا الله"، وتكون الدولة وطناً لكل موحد غريب، حتى لو لم تكن أرض الدولة مسقط رأسه ووطنه الأصلي، فالمسلم ليس له وطن إلا الإسلام، ولا تقر له عين، ولا يفرح له قلب، ولا تطيب له نفس إلا على أرض ترفرف راية التوحيد خفاقة عالية فوق ربوعها، وإن ذلك إن شاء الله لناظره لقريب وكما قال أحدهم:

ولست أبغي سوى الإسلام لي وطناً ... الشام فيه ووادي النيل سيان
وحيثما ذكر اسم الله في بلد ... عددت ذاك الحمى في لب أوطاني
بالشام أهلي وبغداد الهوى ... وأنا بالرقمتين وبالفسطاط جيراني
وما طرسوس مهما لجّ بي دمها ... أدنى إليّ من فاس وتطوان
ولي بطيبة أوطار مجنحة ... تسمو بروحي فوق العالم الفاني
دنيا بناها لنا الهادي فأحكمها ... أعظم بأحمد من هاد ومن بان

اللهم مكّن لعبادك المجاهدين في الأرض الذين لاذوا بجنابك، وأقم على أيديهم دولة الإسلام التي لا يعبد فيها غيرك، ولا يحكم فيها إلا بشرعك، لا يوالى فيها إلا وليك، ولا يعادى فيها إلا عدوك، دولة التوحيد التي يعز فيها المؤمنون ويذل فيها الكافرون، فإنك وحدك يا ربنا أهل ذلك والقادر عليه.

وأما الشهادة فبنيلها تزول جميع ألوان الغربة، ويرجع صاحبها إلى وطنه الأم، وطن الخلود، جنة الفردوس، يتنعم بجوار محبوبه، يتمتع بالنظر إلى وجه ربه الكريم الذي هو غاية المنى وأتم النعيم، ويلتقي هناك بالأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه بعد طول شوق وحنين، ويجتمع شمله مع أهله الذين لم يطمثهن قبله إنس ولا جان، ويتحقق عندها الوصال، فلا غربة عندئذ ولا تعب ولا نصب، وينسى أشد أهل الدنيا بؤساً بؤسه بغمسة واحدة فيها، ولله در العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله إذ وصف ذلك بأحلى عبارة، فقال:

وأقدم ولا تقنع بعيش منغص ... فما فاز باللذات من ليس يقدم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ... ولم يك فيها منزل لك يعلم
فحي على جنات عدن فإنها ... منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى ... وشطت به أوطانه فهو مغرم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي ... لها أضحت الأعداء فينا تحكم
حي على السوق الذي فيه يلتقي ... المحبون ذاك السوق للقوم تعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له ... فقد أسلف التجار فيه وأسلموا
وحي على يوم المزيد الذي به ... زيارة رب العرش فاليوم موسم
وحي على واد هنالك أفيح ... وتربته من إذفر المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة ... ومن خالص العقيان لا تتقصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا ... لمن دون أصحاب المنابر يعلم
فبينا هم في عيشهم وسرورهم ... وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له ... بأقطارها الجنات لا يتوهم
تجلى لهم رب السموات جهرة ... فيضحك فوق العرش ثم يكلم

سـلام علـيكم يسـمعون جمـيعهم — بـآذانهم تسـليمه إذ يسـلم
يقـول سـلوني مـا اشـتهيتم فكـل مـا — تريـدون عنـدي إنـني أنـا أرحـم
فقـالوا جميعـا نحـن نسـألك الرضـا — فأنـت الـذي تـولى الجميـل وتـرحم
فيعطـيهم هـذا ويشـهد جمـيعهم — عليـه تعـالى الله فـالله أكـرم

وإن كانت الغربة التي نتكلم عنها عامة في أهل التوحيد في كل مكان، إلا أنني قصدت بقولي غرباء الدين والدنيا إخواننا المجاهدين في بلاد الرافدين من مهاجرين وأنصار تحديداً، لشدة الغربة التي يعيشونها هناك.

أما المهاجرون فهم غرباء الدين والدنيا بكل ما يحمله هذا الوصف من معنى، قال الإمام النووي: " قال القاضي: وظاهر الحديث العموم وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ، وجاء في الحديث تفسير "الغرباء" وهم النزاع من القبائل، قال الهروي: أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى" أهـ. مسلم شرح النووي:/٢٧٠.

فبعد أن كان المهاجرون غرباء بين أهليهم وفي أوطانهم - وهذه الغربة تتضمن غربة الدين دون غربة الدنيا أو إن شئت قلت غربة الوطن - كان لزاماً عليهم إذ أرادوا دفع غربتهم أن يهاجروا ويجاهدوا، وهذان هما الوسيلتان الوحيدتان لدفع غربة الدين كما أسلفنا، ولكنهم ازدادوا بهجرتهم غربة الدنيا على غربة الدين - وأنا أتكلم هنا عن زمن كان الجهاد في بداياته في بلاد الرافدين قبل قيام دولة العراق الإسلامية أدام الله بقاءها - حتى كان الواحد منهم يجلس في مجموعة من المجاميع مع إخوانه الشهر والشهرين والثلاثة وربما العام، وقد يفدي إخوانه بروحه، وينصب صدره درعاً يقي به إخوانه من وابل الرصاص والقصف، فيقضي عندها نحبه وهم لا يعرفون عنه شيئاً إلا كنيته الوهمية، وكذلك هو فإنه لا يعرف عنهم إلا كناهم الوهمية، وإذا كان عند الواحد منهم بعض الزهد في موضوع التورية أو ما يسمى ب "الأمنيات" فربما يصرح لبعض إخوانه بموطنه الأصلي، فقل لي بالله عليك أي غربة بعد هذه الغربة، وأي مرارة بعد هذه المرارة التي يكون الحنظل عسلاً إذا ما قسته بها، فإلى الله وحده المشتكي، وهو وحده المستعان، ولا على أحد غيره التكلان.

وأما إخواننا الأنصار، وما أدراك ما الأنصار، إذا رأيت كرمهم قلت ليس بعد هذا الكرم من كرم، وإذا رأيت جودهم ظننت أنها أقصى غاية الجود، وإذا رأيت إيثارهم أشفقت

عليهم لفرطه عندهم، فما أحبهم لإخوانهم المهاجرين، وما أحنهم عليهم، مع أنهم يعيشون غربة الدين دون غربة الدنيا، وقد يعيش بعضهم الغربتين جميعاً.

فلقد حدثني بعض من التقيت به أنه لم ير أهله منذ أكثر من ستة أشهر، ولا يستطيع أن يدخل قريته أو مدينته ليتحقق له ذلك، فعيون الخونة والعملاء من عشيرته وجيرانه تتربص به الدوائر، وما أظن أنني أبالغ لو قلت أن مثل هذا يجد من مرارة الغربة ما لا يجده بعض المهاجرين.

ووالله إنني كنت أرى كثيراً من أمثال هؤلاء عياناً، ويكفينا ما وصفه لنا شيخهم الغريب أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله تعالى من حال غربتهم حيث قال: "وحدهم الربانيون يحملون الراية في زمن الانكسار، ويرفعون الجباه في زمن الاستخزاء، وتبحر هممهم عبر الأثير مسافرة إلى الخبير البصير، مقتدية بالبشير النذير صلى الله عليه وسلم، غرباء تلفح وجوههم رياح الوحشة، وتدمى أقدامهم الحافية في صحراء ملتهبة بنار العداوات، تُغلق دونهم الأبواب، فيستطرقون باب السماء، فيفتح لهم من روح الجِنان ما يحيا به الجَنان، خالطتهم بشاشة الإيمان؛ فلا يرتد أحد منهم سخطة لدينه ولو رمته الدنيا عن قوس واحدة". انتهى كلامه رحمه الله، فطوبى لأولئك الغرباء ثم طوبى، ولله درهم من غرباء.

هذا وسيأتي بعض التفصيل في ذلك عند ذكر سير البعض من إخواننا المهاجرين والأنصار في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

أبطال وشهداء عملية أبي محمد اللبناني (رحمه الله).
(المعروف بأبي الشهيد)

أبو الوليد القحطاني
أبو سعيد القطري
أبو صالح النجدي

أبو الوليد القحطاني (رحمه الله):

كان أبو الوليد رحمه الله تعالى أمير مضافة الإستشهاديين، أول منزل نزلت فيه ببلاد الرافدين، وكان رحمه الله في متوسط سن الشباب، ربما لم يكن قد تجاوز سن الرابعة والعشرين من عمره - والله أعلم -، ولكنه كان كبيراً في مواقفه، رفيعاً في أخلاقه، متواضعاً في إمارته، كان يخجل أن يطلب من إخوانه القيام ببعض المهام التي تلزمهم، مثل الحراسة والنظافة والخدمة وإعداد الطعام وغيرها، بل على العكس تماماً، فإنه كان شديد الحرص على راحة إخوانه وخدمتهم.

فلما كنا نضع برنامجاً للحراسة، ونقسم ساعات الليل على عددنا فيكون نصيب الواحد منا أحياناً ساعتان من الحراسة على الأقل في كل ليلة، ولما كانت تنتهي فترة حراسته كان رحمه الله يتابع الحراسة إلى أن يشاء الله، ولما كنا نسأله عن ذلك كان يقول: "إنه ليشق علي أن أوقظ إخواني من نومهم، شفقة عليهم".

وكان رحمه الله تعالى ينفق على إخوانه نفقة الذي لا يخشى الفقر، فإذا أراد أن يبعث أحد الإخوة إلى السوق كان يسأل كل واحد منا عما إذا كان ينقصه أي شيء من السوق، ثم يسجل ذلك على ورقة، وإذا رأى أحدنا يخرج ماله من جيبه ليدفع ثمن ما يريد شرائه كان أبو الوليد رحمه الله يقسم عليه أن يرجع ماله إلى جيبه ويقول: "إن معي مالاً كثيراً وليس لي حاجة فيه حيث أنا ذاهب إن شاء الله تعالى"- يقصد الجنة رحمه الله محسنٌ ظنه بربه سبحانه وتعالى - إذ كان ينتظر تنفيذ تلك العملية بلهيب من الشوق، رغم أن الواحد منا لم يكن ينقص المال في جيبه عن أربعمائة دولار، لأن الشيخ أبو مصعب رحمه الله كان يأمر بصرف ذلك المبلغ لكل واحد من الإخوة المجاهدين، وكان الشيخ يقول: إذا أنفق أحد الإخوة من ذلك المال شيئاً فأعيدوا إليه ما أنفق على الفور.

وفي الليلة التي سبقت صبيحة تنفيذ العملية المباركة اجتمع ما يزيد عن الثلاثين أخ لوداع الأبطال الثلاثة، وكان ممن حضر لوداعهم تلك الليلة القائد العسكري المخضرم أبو

جعفر المقدسي رحمه الله تعالى مخطط العملية والمشرف على تنفيذها، وكنت أجلس تلك الليلة إلى جانب أبي الوليد، فأمال رأسه ناحيتي وقال لي: هل تعلم يا أبا عبد الرحمن أنني من بني قحطان، قلت له: لا - ولا أظن أن أحداً في المضافة كان يعلم بذلك -، قال: نعم أنا من بني قحطان في الجزيرة العربية، وإن والدي من كبار شيوخ قحطان، وإنني لأحب عشيرتي كثيراً وأحب أشقائي كثيراً جداً، ولم أكن أظن أنني في يوم من الأيام سأحب أحداً أكثر من إخوتي وعشيرتي، ولكنني والله يا أبا عبد الرحمن قد أحببت إخواني المجاهدين من مهاجرين وأنصار أكثر من حبي لأشقائي وعشيرتي.

قلت: والله ما أظن أن تلك الكلمات قد خرجت إلا من قلب صادق مخلص، أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً، فرحم الله أبا الوليد وأحسن الله قبوله في زمرة الشهداء وأسكنه فسيح جناته، آمين.

أبو سعيد القطري (رحمه الله):

كان أبو سعيد القطري رحمه الله تعالى إمام المضافة في الصلاة، كان يحفظ عشرين جزءاً من كتاب الله، وكان يمضي جل وقته في حفظ العشرة أجزاء الباقية، ولم يكن كثير الكلام ألبتة، بل كان كثير الصمت، كثير التبسم في وجه إخوانه، ولم أكن أعرف عنه الكثير، إلى أن قدر الله عز وجل لي أن أكون رفيقه في الحراسة في أحد الليالي التي كان يستوجب علينا فيها أن نحرس مثنى مثنى.

وبعد أن تحدثنا في بداية تلك الليلة عن بعض الأمور العامة، أخذ يشكو إلي ما كان يلقاه هو وإخوانه الموحدون من أذى المرجئة الخبثاء في قطر، وتلبيسهم على الشباب بشبههم الخبيثة في مسائل الجهاد، وصرفهم بها عن طرق أبوابه وخوض غماره، وقتلهم نصرة دين الله في قلوب الشباب، وإطفاء لهيب الغيرة على دماء الأمة وأعراضها - أخرس الله ألسنتهم وشل أركانهم -، وأخبرني رحمه الله في تلك الليلة كذلك عن مدى حزنه لقلة عدد أبناء بلده القطريين في صفوف المجاهدين، وكان يتمنى نفير الصادقين منهم إلى أرض العراق أرض العزة والكرامة، أسأل الله العظيم أن يكتبه مع إخوانه الشهداء في أعلى عليين.

أبو صالح النجدي (رحمه الله):

كان رحمه الله أكثر من قابلت ذكراً للحور العين في حياتي، إذ كان لسانه لا يفتر أبداً عن وصفهن، والتغني بحسنهن وجمالهن، وخاصة من كان يطلق عليها اسم "لعبة"، فإنه كان رحمه الله يصفها وكأنه يراها رأي العين، وكان رحمه الله شديد الحرص على إدخال السرور إلى

قلوب إخوانه، ورسم الابتسامة على وجوههم، وكان أكثر ما يردده عند النوم ليضحك إخوانه إذا أراد أحدهم أن ينام بالقرب منه قوله: "يا أخي أبعد رأسك عني ولا تقرّبه من رأسي كثيراً فإنني أخشى إذا رأيتُ زوجاتي من الحور العين الليلة في رؤيا أن يتسرب بعض تلك الرؤيا من رأسي إلى رأسك، فتفسد علي رؤياي وعندها سأضطر إلى ضربك في الصباح".

تقبلك الله يا أبا صالح، ومتعك بزوجاتك من الحور العين وعلى رأسهن "لعبة"،

فديتك روحا تراءت ضياء — تعالت فضجَّت ملاك السماء
وراح يُحلِّق تحت الإله — يطير بفردوسه حيث شاء
ويلقى الأحبة في جنة — يناغي بها ثلة الشهداء
يقلب طَرْفاً له في الجنان — أحقاً رحلنا وزال العناء
أحقاً لفحتُ رياحَ النعيم — وخلّفتُ خلفي رياحَ الجفاء
أحقاً سألقى حواري الخلود — ويطربني لحنها بالغناء
ويلتف غُصني على غصنها — فيُورق زهر الهوى والهناء
فطلَّت بثغر كدُرٍّ الجُمان — هلم لجيد كبدر المساء
وضمَّت فؤادي وقالت بدمعٍ — لقد طال عهد انتظار اللقاء
وجفَّتْ ينابيعنا لهفة — فإنَّا لفيضِ الغرام ظِماء
نذوبُ اشتياقاً إلى ضمةٍ — تُريح الفؤادَ وتجلو العناء
مرضتُ و ما بي من علةٍ — فشوقيَ دائي وأنت الدواء
أُربَّى لأجلك في الخدرِ دهراً — كلؤلؤةٍ حفها الكبرياء
تضّرمَ صدري شوقا إليك — ومازلت أكتم شوقيَ حياء
وأرمُقُ خطوَك في المعمعات — فيزداد شوقي هوىً واشتهاء
فلما استقرت رصاصُ العِداة — بروحك أرسلتَها للسماء
وذلك ما كنتَ ترنو له فأمْلك — مولاك ذاك الرجاء
يعزُّون فيك ولم يعلموا — بماذا أُعِدَّ لكم من عزاء

وقـــــد آن للثغـــــر أن يرتـــــوي ويُلـــــثم ثغـــــراً نقـــــيَّ البهـــــاء
وهبـــــتَ لمـــــولاك روح الفـــــداء فكنـــــتَ المجـــــازى وكنـــــتُ الجـــــزاء
فـــذابا عناقـــاً وهامـــا وصـــالاً وأُسْـــدِل سِـــترُ الأســـى والشـــقاء

أحداث العملية:

في تلك الليلة التي اجتمعنا فيها لوداع أولئك الأبطال الثلاثة، ذهب أبو الوليد وأبو سعيد وأبو صالح برفقة أبي جعفر المقدسي ليطلعهم على خطة تنفيذ العملية، ثم رجعوا إلينا في الصباح الباكر وهم يرتدون الثياب البيض والعمائم البيض، قاصدين أن يُزَفوا بتلك الثياب إلى زوجاتهم من الحور العين، ولما دعوناهم إلى طعام الإفطار أخبرونا بأنهم صائمون، وأنهم يرجون من الله أن يتقبلهم ليفطروا مع أهليهم في الجنة، وأخبرني أبو الوليد أنهم سينفّذون العملية في تمام الساعة الثامنة والنصف صباحاً، وأنهم سيفجرون مبنى الجمرك في مدينة حصيبة الواقع على الحدود العراقية السورية، والذي كان شبه قاعدة أمريكية حدودية، وأنه سيقود سيارة شحن تحمل ثلاثة أطنان ونصف من المتفجرات ثم يتوجه بها إلى المبنى الرئيسي بعد أن يقوم إخواننا المقاتلون برمي حراس المبنى برشاشات البيكا وقذائف الهاون لإشغالهم، ومن ثم يَنقَضُّ أبو سعيد وأبوصالح على مداخل المبنى بمفخخاتهم ويفجرونها في أبراج الحراسة والقناصة الواقعة على مداخل الجمرك ليفتحوا بذلك طريقاً لأبي الوليد ليصل إلى أم وكر الصليبيين.

ثم قام أبو الوليد وإخوانه وتوجهوا لتنفيذ العملية، فودعناهم مرة أخرى وأخيرة، وبعد عشرين دقيقة تقريباً، شعرنا باهتزاز في جدران المضافة وزجاج النوافذ، فعلمنا عندها أن الإخوة قد نفذوا العملية، ولما سارعنا إلى خارج المضافة على أمل أن نرى شيئاً من العملية، إذ بصدى دوي انفجار قوي يملأ الأجواء، مع أن مكان الإنفجار كان يبعد عنا ما لا يقل عن خمسة عشر كيلو متراً، وتتبعت أبصارنا دخان الإنفجار المتصاعد إلى السماء، وكان ذلك الدخان آخر عهدنا بهم، تقبلهم الله جميعاً في فسيح جناته.

وبعد عدة ساعات بدأت الأخبار تتوالى عن حجم الخسائر البشرية والمادية التي مني به العدو، فلقد رأينا طائرات الشينوك تهبط في موقع العملية ثم تقلع ثانية أكثر من خمس مرات ومن المعروف في العراق أن طائرات الشينوك هي طائرات مخصصة لإسعاف الجرحى من الجنود الصليبيين ونقل القتلى منهم، ومن المعلوم أيضاً أن كل طائرة من طراز شينوك تتسع لأربعين راكباً، فتأمل!.

وأما خسائرهم المادية فلقد تواترت الأخبار أن الكثير من قطع الآليات العسكرية الصليبية مثل الهمرات وغيرها قد تطايرت حتى سقطت على الأراضي السورية، وكذلك تطايرت أشلاء بعض الجنود الصليبيين عبر الحدود السورية من شدة الإنفجار.

فرحم الله أولئك الأسود الأبطال، وأقر أعينهم كما أقروا أعيننا،

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كَلْمَى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى ... إلى قول قوم أنت بالشهادة عالم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة ... تموت الخوافي تحتها والقوادم
بضرب أتى الهامات والنصر غائب ... وصار إلى الليات والنصر قادم
ومن طلب الفتح الجليل فإنَّما ... مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
حقرت الردينيات حتى طرحتها ... وحتى كأن السيف للرمح شاتم
نثرتهم فوق الأحيدب كله ... كما نثرت فوق العروس الدراهم

هذا ولقد أثارت نتائج تلك العملية المباركة حفيظة الجيش الصليبي، وأغاظت قادته مما دفعهم للرد في مساء ذلك اليوم بقصف عشوائي وحشي، راح ضحيته أربعة وعشرون قتيلاً من المدنيين ما بين طفل وامرأة "والله على ما أقول شهيد"، وكذلك قتل أحد أسود التوحيد في تلك الليلة بعد أن خاض وحده معركة شرسة مع طائرات الأباتشي التي كانت تقصف المنطقة، وهو شهيدنا التالي، وفي قصته تفصيل تلك الأحداث إن شاء الله تعالى.

أبو حمزة الشامي (رحمه الله)
(طبيب القاعدة)

ليس في جعبتي الكثير عن حياة هذا الأسد فأنا لم أره سوى خمس أو ست مرات، ولم نتحدث إلا في مرتين منهن، ولم يتجاوز حديثنا في كلتا المرتين عن الخمس دقائق، ولكنني أعرف قصة استشهاده التي حق لها أن تكتب بمداد الذهب، فوالله لولا أنني كنت قريباً من مكان استشهاده ولولا أنني رأيت الطائرات التي قارعها تلك الليلة بأم عيني، لقلت أن هذه القصة ليس لها أصل في الحقيقة، وإنما هي من نسج الخيال.

أما أول لقاء من اللقائين اللذين تحدثت معه فيهما، فكان في اليوم الذي سبق تنفيذ عملية أبي محمد اللبناني، إذ أصابتني وعكة شديدة، فذهب بي بعض الإخوة إلى أبي حمزة، وكان أبو حمزة يقيم في بيت يسمى "بيت الجرحى"، لوجود بعض الجرحى الذين أصيبوا في معركة الفلوجة الثانية فيه، وكان رحمه الله قائم على علاجهم لا يفارقهم طرفة عين، فأدخلني الإخوة إليه وأخبروه بأمري، فأقبل نحوي وفي يده السماعة الطبية وقال متبسماً: لا تخف يا أخي فالأمر بسيط وما تجده إنما هو بسبب اختلاف الجو عليك، وبحقنة واحدة سيذهب عنك ما تجد بإذن الله تعالى، وأثارت لكنته الغير واضحة فضولي، وفي الوقت الذي كان يحضر فيه تلك الحقنة سألته قائلاً: هل أنت شامي بمعنى أنك سوري، أم أنك شامي بمعنى أنك من بلاد الشام؟، فتبسم ابتسامة عريضة وقال: أنا شامي وحسب. ولم أكن في وضع صحي يساعدني على بسط الكلام معه فسكتُّ، وبعد أن أعطاني الحقنة رجع بي الإخوة إلى المضافة، وفي مساء ذلك اليوم جاء أبو حمزة رحمه الله إلى المضافة وكان أبو جعفر المقدسي وبعض الإخوة قد حضروا إلى المضافة لوداع أبي الوليد وأبي سعيد وأبي صالح رحمهم الله، وبعد انتهائه من السلام على الإخوة جاء فجلس إلى جانبي وسألني عن حالي وقال لي: إنني أتيت الليلة للاطمئنان على صحتك، وقد أحضرت لك بعض الدواء ليخفف عنك الألم. فأكبرته لذلك الموقف أيما إكبار، لأنني لم أكن أتوقع أن يتذكرني أبداً لكثرة ما يشغله من حال إخواننا الجرحى.

ثم التفت إلى أبي جعفر وقال له: يا أبا جعفر، كم من مرة قلت لك فيها أننا بحاجة إلى سلاح بيكا نظيف في بيت الجرحى، فالتفت أبو جعفر إلى أحد الإخوة القائمين على توزيع السلاح وقال له: أرجو أن تعطي أبا حمزة بيكا نظيفة في أقرب وقت، فقال ذلك الأخ: لقد أعطيتهم بيكا قبل بضعة أيام، فقال أبو حمزة: ولكنك أخبرتني أنها ستبقى عندنا مؤقتاً، فقال الأخ: لا مانع عندي أن تحتفظوا بها، فقال له أبو حمزة: هل هي مجربة، قال: أنا لم أجربها، فقال أبو حمزة: كيف سأعرف إذاً أنها تعمل بشكل صحيح، قال: جربها أنت،

قال ليس عندي إلا القليل من الذخيرة، ولا أستطيع أن أستعمل تلك الذخيرة في تجربتها، فحبذا لو تحضر لنا بعض الذخيرة لنتمكن من فحص السلاح، فقال له الأخ: أبشر، فلك ذلك إن شاء الله تعالى.

ولم يكن يعرف أي واحد منا في تلك الليلة أن أبا حمزة قد أخذ السلاح بحقه، وأنه سيذود به عن إخوانه، وأنه سيفديهم بنفسه، ويرد عنهم صولة حاقدة لعباد الصليب.

ففي الليلة التالية لما جاءت الطائرات الأمريكية لترد على عملية الجمرك، وأخذت تحوم فوق المنطقة على ارتفاع منخفض، ظن أبو حمزة رحمه الله أن الطائرات جاءت في عملية إنزال على بيت الجرحى، فأخذ البيكا وخرج من البيت، ومشى ما يقارب السبعمائة متر بعيداً عن بيت الجرحى، ولما بدأت الطائرات بالقصف العشوائي علم عندها أبو حمزة أن الصليبيين لا يقصدون به أحداً معيناً أو مكاناً محدداً، ولكن ذلك لم يثن أبا حمزة عن الذب عن المدنيين من المسلمين ولا عن إخوانه المجاهدين، فصوب سبطانة بيكته نحو طائرات الأباتشي وأخذ يمطرها بوابل من الرصاص، وكأنها لم تعدو في عينه قدر البعوضة، والتَفَّتْ عليه ثلاث طائرات مروحية وأخذت تقصفه بالصواريخ المدمرة وهو ثابت صابر مقبل غير مدبر، لا تفارق سبابته زناد سلاحه، ولم تتراجع قدماه خطوة واحدة إلى الوراء، ولم تبرح قدماه موطئهما حتى مزقت شظايا الصواريخ جسده، فترجل كما يترجل الفرسان، وقضى كما يقض الشجعان، وفاضت روحه في الذب عن الدين والإخوان،

وإنّا لنلقى الحادثات بأنفس	كثير الرّزايا عندهن قليل
يهون علينا أن تصاب جسومنا	وتسلم أعراضٌ لنا وعقول
فإن تكن الدّولات قسماً فإنّها	لمن ورد الموت الزّؤام تدول
لمن هوّن الدّنيا على النّفس ساعة	وللبيض في هام الكماة صليل

فرحمك الله يا أبا حمزة رحمة واسعة، ورزق الله أمة الإسلام رجالاً كأمثالك.

وفي يوم من الأيام، وبعد استشهاد أبي حمزة بثلاثة أشهر تقريباً، جلست مع أحد الإخوة ودار حديث بيننا عن بعض الشهداء الذين التقينا بهم - ولم أكن أعرف ذلك الأخ من قبل - حتى انتهى بنا الحديث إلى أبي حمزة الشامي، فسألني ذلك الأخ إذا كنت قد التقيت به أم لا، فأخبرته بقصتي معه، وكذلك أخبرته عن قصة استشهاده، فقال لي: لقد التقيت بأبي حمزة الشامي قبل مقتله بمدة، وكان يتحدث يومها عن الشهادة، فقلت في نفسي: كيف ستصل الشهادة إليك وأنت في آمَنِ مكان في العراق، وليس مقامك من

مظان القتل والشهادة، ثم قال: فوالله إنني لأخجل الآن من حديث نفسي ذاك، وأيقنت بمقتل أبي حمزة أن الشهادة اصطفاء من الله سبحانه وتعالى، وأن من سأل الله الشهادة خالصاً وصادقاً من قلبه فإن الله سيبلغه إياها مهما كانت الظروف.

أبو عبد الرحيم الأردني (رحمه الله).

شاب آتاه الله قدراً من الحسن والجمال، لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، وكان قبل خروجه للجهاد طالباً في كلية الهندسة الكهربائية في أحد الجامعات الأردنية، ولما تكالب التحالف الصليبي على إخواننا المجاهدين في معركة الفلوجة الثانية، لم يعد للحياة عنده أي معنى، فاستحقر الحياة لما يعاينه من حال الأمة المرير، وطلق زينة الدنيا وزخرفها طلاقاً بائناً، ثم امتطى صهوة عزيمته، وأقبل على الله سبحانه وتعالى بقلب يتفجر غيرة على دينه، وخرج ملبياً لمنادي الجهاد ولسان حاله يقول:

أحــلّ الكفــر بالإســلام ضــيما ... يطــول عليــه للــدين النحيــب
فحــق ضــائع وحمــى مبــاح ... وســيف قــاطع ودم صــبيب
وكــم مــن مســلم أمســى ســليبا ... ومســلمة لهــا حــرم ســليب
وكــم مــن مســجد جعلــوه دَيْــرا ... علــى محرابــه نصــب الصــليب
دم الخنزيــر فيــه لهــم خلــوق ... وتمزيــق المصــاحف فيــه طيــب
أمــور لــو تــأملهن طفــل ... لطفّــل في عوارضــه المشــيب
أتســبى المســلمات بكــل ثغــر ... وعــيش المســلمين إذاً يطيــب
أمــا لله والإســلام حــق ... يــدافع عنــه شــبان وشــيب
فقــل لــذوي البصــائر حيــث كــانوا ... أجيبــوا الله ويحكــم أجيبــوا

ولما وصل إلى العراق أبلغ الإخوة برغبته في تنفيذ عملية استشهادية، فوافق الإخوة وأخبروه بأن عليه الإنتظار بضعة أيام حتى ييسر الله له هدفاً جيداً، ولو أنك رأيت مقدار حبه للسلاح لما كنت تصدق أبداً أن هذا الرجل قد اختار أن يكون استشهادياً على أن يكون مقاتلاً، ولا أذكر أنني رأيته ساعة من غير سلاحه، ففي يوم واحد تراه يفكك السلاح لتنظيفه وصيانته أكثر من ثلاث أو أربع مرات، أو تراه يخرج الرصاص من المخزن ثم ينتقي أفضل أنواع الرصاص فيحوزه إليه، وكان دائماً يقول: لن تعود للأمة عزتها وكرامتها إلا بالتمسك بدينها والتمسك بهذا ويشير إلى سلاحه رحمه الله، وكان أبو عبد الرحيم يكره التورية - الأمنيات - كثيراً، وكان شديد الفضول في طابع فطري لمعرفة أسماء إخوانه الحقيقية وكذلك بلدانهم، ولم يكن يكل أو يمل في طلب ذلك.

وبعد استشهاد أبي الوليد وإخوانه زاد إلحاح أبي عبد الرحيم على منسقي العمليات الإستشهادية في الإسراع بتجهيز عملية له، ولأن عملية أبي الشهيد كانت قاصمة لظهور عباد الصليب، فإنهم قد باتوا في أقصى حالات الذعر والحذر، واستمر حالهم على ذلك لبضعة أيام، حتى يسر الله هدفاً مناسباً لعملية استشهادية.

ففي أحد الأيام جاء الإخوة إلى المضافة وأخبروا أبا عبد الرحيم أن عليه تجهيز نفسه على الفور ليذهب معهم، ولكنهم لما علموا أنه لا يجيد قيادة السيارات كثيراً، قالوا له: سوف نأخذ أحد الإخوة الاستشهاديين مكانك لتنفيذ العملية وسنرجئك حتى تتعلم القيادة جيداً، ولكنه أخذ يبكي ويقسم عليهم بالله إلا أخذوه هو، وشكى إليهم طول انتظاره، وخاصة بعد استشهاد أبي الوليد وإخوانه، وقال لهم: خذوا أحد الإخوة كما تريدون ولكن خذوني معكم أيضاً ثم اعطوني فكرة عن قيادة السيارة بنفس السيارة المفخخة، وإذا لم أتقن القيادة بحيث أستطيع أن أقودها وأصل بها إلى الهدف، فارجعوني عندها إلى المضافة وأعدكم ألا أتلفظ ببنت شفة بعدها حتى تعلموني القيادة، فوافقه الإخوة على شرطه، وأخذوه معهم ولم يرجع أحدٌ منهم إلا بعد ليلة أو ليلتين، ولما دخل الإخوة المضافة ولم يكن أبو عبد الرحيم بصحبتهم علمنا أنه قد قضى نحبه وصدق قصده، ولما سألنا الإخوة قالوا: والله ما رأينا أعجب من أمر أبي عبد الرحيم، إذ أننا لم نأخذه إلا درءاً للجدال، ولكنه فاجأنا بشدة انتباهه لما نقول، فلم نحتج إلى إعادة أي أمر من أمور القيادة التي علمناه إياها، وبعد جولتين تدريب بالسيارة فقط، إذا به وكأنه يمارس القيادة منذ سنين، ولقد أخذت تلك العملية مكانها على الطريق السريع كما أخبرنا الإخوة، وكان الهدف رتلاً عسكرياً أمريكيا، وبفضل الله سبحانه وتعالى فلقد تمت العملية بنجاح، ولكن لم يكن لمعرفة عدد القتلى أو حجم الخسائر التي وقعت بهم من سبيل.

نسأل الله أن يكون أبو عبد الرحيم قد أثخن فيهم، فمزق أجسادهم، ورمل نسائهم، ويتم أبنائهم، وأذاقهم ما يذوقه المسلمون، ورحم الله أبا عبد الرحيم رحمة واسعة، وألحقه بأحبته وإخوانه، آمين.

أبو همام الأردني (رحمه الله).

كان أبو همام الأردني رحمه الله تعالى يعمل طاهياً - شيف - في أحد الفنادق في عمان، ولم يلبث رحمه الله في عمله ذاك طويلاً بعد تخرجه من الكلية، حتى منَّ الله عليه بالهداية، وأرشده إلى طريق التوبة والإنابة، فترك عمله في الفندق لما فيه من معاصٍ ومنكرات، حاله حال جلّ الفنادق في بلاد المسلمين هذه الأيام، نسأل الله العفو والعافية، ولما التزم أبو همام شرائع دينه وصلح حاله بدأت نفسه تحدثه بالنفير لنصرة الإسلام وأهله في بلاد الرافدين، وكانت بينه وبين أبي عبد الرحيم رحمه الله صداقة طيبة في عمان، فاجتمعا على هذا المطلب الشريف حتى يسر الله لهما بصدقهما وإخلاصهما - أحسبهما كذلك والله حسيبهما ولا أزكيهما على الله - طريقاً إلى أرض العزة أرض الجهاد.

وعندما دخل أبو همام رحمه الله بلاد الرافدين كان عاقداً عزمه على تنفيذ عملية استشهادية، حاله حال أخيه أبي عبد الرحيم، وكان أبو جعفر المقدسي رحمه الله تعالى في ذلك الوقت يجهز لإنشاء معسكر لتدريب المقاتلين الجدد.

ولما علم أبو جعفر أن أبا همام كان طاهياً أخبره بموضوع المعسكر وأنه بحاجة إلى أخٍ مثله لتجهيز الطعام للمتدربين هناك، وبين له أبو جعفر فضل ذلك على تنفيذ العملية لما فيه من نفع متعدٍ، فلم يتأخر في تلبية طلب أبي جعفر، وآثر البقاء لخدمة إخوانه على تنفيذ العملية.

وفي أحد الليالي قدر الله أن يجمعني به في دورة من الحراسة، وكانت تلك الليلة تتسم بالهدوء الشديد، إذ لم تكن طائرات التجسس تحلق في المنطقة والتي كانت تعرف بصوتها الطنان المزعج، فكان ذلك الجو الهاديء مناسبا لحديث هاديء، فجلسنا وتحدثنا عن أمور شتى حتى وصل بنا الحديث عن الشيخ أبي أنس الشامي رحمه الله تعالى، وكان أبو همام يحب الشيخ حباً شديدا، فاستطرد في الحديث عنه وعن كراماته في الفلوجة، وكانت تعابير وجهه وهو يتكلم عنه تزيد من الحديث عذوبةً وتشويقاً وكأن الكلام كان يخرج من قلبه لصدقه في الحديث، وبعد أن أنهى حديثه عن الشيخ بدأ يتكلم عن نفسه وعن عمله في الأردن ولكنه لما وصل بحديثه عن والده عمَّت ملامح الحزن وجهه، ثم سكت فجأة مما حملني على سؤاله عن والده فقلت له: "عسى أن يكون والدك بخير؟"، فقال والعبرات تكاد تنهمر من عينيه: "إن والدي رجل كبير، ولقد أفنى ما مضى من عمره في الكد والتعب من أجل تأمين لقمة العيش لأسرته، وإنني قلق عليه إذ ليس له من يعينه ويساعده من بعد الله في مصاريف البيت غيري، وخاصة أن إخوتي لا يزالون في سن الطفولة، ووالله لولا أن نصرة لا إله إلا الله

أحب إلي من الدنيا وما فيها لما فارقته طرفة عين"، فقلت له: "يا أبا همام من الذي كان يعين أباك قبل أن تبلغ أشدك وتعينه"، قال:"الله"، قلت: "فليطمئن قلبك إذاً لأن الذي كان يرزقه ويعينه لا يزال متكفل برزقه "، ثم ذكرت له ما قاله الإمام المجاهد ابن النحاس الدمياطي رحمه الله في كتابه القيم مشارع الأشواق في تفنيد الحجة الثانية من حجج المتثاقلين عن الجهاد وهي الخوف على الولد والوالد والأهل حيث قال: " ألقه يا هذا عن بالك إلى من خلقك وخلقه، وتوكل في رزقه بعدك على الذي رزقك ورزقه، كيف أسلمت إلى الله تدبيره في الملك والملكوت، ولم تسلم إليه تدبير ولدك بعدما تموت؟ وهل لك من تدبير ولدك قليل أو كثير، ولله ملك السموات والأرض وإليه المصير؟، والله لا تملك له ولا لنفسك نفعاً ولا ضرا، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشورا، ولا تستطيع أن تزيد في عمره يسيرا، ولا في رزقه نقيرا، وقد تفترسك المنية في قبرك صريعا، وبعملك أسيرا، ويصبح ولدك العزيز بعدك يتيما، ويأخذ مالك وإرثك عدواً كان أو رحيما، ويفترق عيالك ظاعناً ومقيما.....إلى أن ذكر قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ! إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }** لقمان:٣٣-٣٤". مشارع الأشواق:١/١١٩-١٢٠، فقال لي: "والله ما عندي شك في ذلك، ولكن القلب يحزن يا أخي".

وبعد بضعة أيام ذهب إلى المعسكر مع أبي جعفر، ولما انتهت الدورة العسكرية توجه مع إخوانه إلى بغداد وشارك هناك في عدة معارك كان آخرها معركة اليوسفية الضروس التي استمر القتال فيها بين جند الرحمن وجند الشيطان لعدة أيام، وقضى فيها أبو همام نحبه مع ثلة من أسود التوحيد مقبلين غير مدبرين، ثابتين غير متزلزلين، فرحمهم الله تعالى أجمعين.

عماش القصيمي، أبو عمشة (رحمه الله).

كثير من الناس من يوصف بأنه على الفطرة، أو أنه طيب القلب، لا يعرف المكر أو الحيل، ولكنني لم أر في حياتي من تنطبق عليه تلك الأوصاف مثل أبي عمشة رحمه الله، كان سهل المعاشرة، طيب المعاملة، لين الجنب لإخوانه، لم يره أحد إلا أحبه، ولم يجلس معه أحد إلا وتمنى ألا يفارقه، وبما أنه رحمه الله تعالى كان استشهادياً، كان كلما جلس معه أحد الإخوة وتعرف عليه راح يقنعه بالتحول إلى القتال وصرف النظر عن العمليات الاستشهادية، حتى الأمراء منهم، لما كان يقذف الله من محبته في قلوب إخوانه، وكان رحمه الله شديد الحب للشيخ عبد الكريم الحميد حفظه الله تعالى، وكان قبل هجرته إلى العراق شديد الحرص على حضور دروس الشيخ حيثما توفرت، وكان أكثر ما يردد من كلام الشيخ حفظه الله قوله: "ماذا ستستفيد الأمة من س٢ × ص٢ - سين تربيع ضرب صاد تربيع -، مشيراً إلى العلوم التي تدرس في مدارس هذا الزمان مما ليس وراءها طائل، وخاصة أنها حلت محل العلوم الشرعية، حتى غدت في عرف الناس أرفع منزلة من العلم الشرعي، وأشرف مكانة منه، مع أن بعض تلك العلوم قد تتضمن بعض أنواع الكفر المخرج من الملة كدراسة القوانين الوضعية أو وحدة الأديان، وبعضها قد يكون محرماً مثل دراسة العلوم المصرفية وما يتعلق بها من النظم الربوية أو ما يسمونه نظام الفوائد المصرفية، وتعلم الموسيقى والغناء، وغيرها، فإلى الله المشتكى.

وللشيخ عبد الكريم الحميد حفظه الله كتاب خاص في هذه المسألة اسمه "بيان العلم الأصيل والمزاحم الدخيل" وقد بين الشيخ فيه فساد تلك المدارس، فليراجع.

وإن من الطف طرائف أبي عمشة التي لا زلت أتذكرها أننا كنا نتحدث في يوم عن صعوبة زواج المهاجرين في العراق، فقال لي: والله يا أخي لو يأتي المجاهدون إلى بلادنا لزوجناهم من خيار نسائنا، فقلت له: أتعني أنني لو ذهبت إلى القصيم وأردت الزواج هناك أنك ستساعدني في ذلك؟، فقال: نعم لو ذهبت إلى هناك وأردت الزواج فما عليك إلا أن تخبرهم بأنك من طرف عماش، وسكت لحظة وأدرك عندها أنه قد ذكر لي اسمه الحقيقي، فقال لي: بالله عليك يا أبا عبدالرحمن ألاّ تخبر أحداً عن اسمي الحقيقي، فقلت له: لا تخف، فلن أخبر أحداً، قال: أتعدني بذلك؟، قلت: أعدك، ثم جاء أحد الإخوة إلينا فقال: ما بالك يا أبا عمشة تطلب الوعود من أبي عبد الرحمن، قال: كنا نتحدث فاستطردت في الكلام حتى أخبرته بأن اسمي الحقيقي هو عماش، وأخبر عن اسمه الحقيقي للمرة الثانية أمام الأخ بكل عفوية، ولم يكن هو الآخر يعرف اسم أبي عمشة الحقيقي، فلم نستطع عندها تمالك أنفسنا من شدة الضحك.

هذا ولقد نفّذ أبو عمشة عمليته الإستشهادية كما كان يتمنى، ولا أعلم أي شيء عن حيثيات تلك العملية، ولا أملك إلا أن أقول: رحم الله أبا عمشة رحمة واسعة، وأسأله سبحانه أن يتقبله في زمرة الشهداء.

معركة القائم (عملية مصارعة الثيران)

" **أميرنا الحبيب:**

يخط لك اليراع هذه الكلمات، وجنودك يسطرون بفضل الله أروع الصور في الفداء والتضحيات، والذود عن حياض هذا الدين، والذب عن أعراض المسلمين في مدينة القائم، أقام الله فيها شريعته.

القائم وما أدراك ما القائم، أرض النزال وساحة الرجال، فقد تهاوت فيها أسطورة المارينز، وسقط قناع الزيف، وأثبت فرسان الإسلام وشباب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم بواسل في الميدان، أسود عند اللقاء، من مهاجرين وأنصار، فها هي أهدافهم الصليبية قد تلاشت على أسوار القائم، فبعد عشرة أيام من المعارك الشرسة والمتواصلة مكن الله لأبناءك من رد عادية الصليبيين على أسوار المدينة، وتقهقرت جحافلهم خاسئة حسيرة، تلعق جراحها، ولقد كانت هذه المعركة من المعارك العظيمة في تأريخ الإسلام والمسلمين.

فإن الله أوقع الهزيمة بهم، وجعل الدائرة عليهم، بعد أن صرح كبير حملتهم الجنرال المسمى بشارب الخمر متبجحاً متحدياً الله سبحانه وتعالى: بأننا سنهزمهم ولو كان محمد ورب محمد معهم، وأنه سوف يشرب الخمر على إثر انتصارهم، حتى يسمع بهم العالم فلا يزال يهابهم، وأن مقولته هذه لتعيد إلى ذاكرتنا مقولة عدو الله أبي جهل يوم بدر حين قال: (والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدراً ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان حتى تسمع العرب بمخرجنا فتهابنا آخر الأبد)، فورد بدر هو وجنوده فكان فيها هلاكهم بفضل الله سبحانه وتعالى.

والله يعلم يا شيخنا بأننا أستبشرنا بمقولة هذا الجنرال اللعين، وتيقنا بأن الله منجز وعده لنا، وناصرنا عليهم، سنة الله في كل من سولت له نفسه الطعن في هذا الدين والتجرؤ على رب العالمين.

قال شيخ الإسلام أبن تيمية رحمه الله تعالى في الصارم المسلول: (ونظير هذا ما حدثنا به أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوا مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي في السواحل الشامية لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا كنا نحسر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا، حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب الرسول صلى الله عليه وسلم والوقيعة في عرضه تعجلنا فتحه، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين، أو نحو ذلك، كما يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة

عظيمة قالوا حتى أن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه) أهـ.

وقد وفق الله سبحانه وتعالى أحد أبناءك لقتل هذا الجنرال، فأصاب مروحيته التي كان يستقلها ويحتمي ضربات المجاهدين بها، لتهوي به فتحرقه بنار الدنيا قبل نار الأخرة، فلله الحمد والمنة.

فقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى فقطفنا رؤوسهم، ومزقنا أجسادهم، وأرقنا دمائهم، وليخرجن بإذن الله من بلاد المسلمين أذلة صاغرين، يلعقون جراحهم ويجرون أذيال هزيمتهم وخيبتهم.

وقد صدق صاحب كتاب الحرب الأهلية الثانية، وهو من قدماء المحاربين الأمريكيين في فيتنام حين قال: (إن أمريكا ولدت في الدماء ورضعت الدماء وأثخنت الدماء وتعملقت على الدماء ولسوف تغرق في الدماء).

ولئن كان ياشيخنا قد سرَّ كلب بني الأصفر بوش أسر أخينا أبي فرج الليبي، فلقد ساءه ما حل بجنوده في القائم وباقي أرض الرافدين.

بهذه الكلمات التي حملت في نبراتها فرحة النصر بعث أمير الإستشهاديين في بلاد الرافدين أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله تعالى مبشراً أميره شيخ المجاهدين أبا عبدالله أسامة بن لادن حفظه الله تعالى ورعاه بنصر العزيز الجبار الذي آزر به عباده المخلصين في مدينة القائم، تلك المعركة التي أذل الله فيها عبّاد الصليب على أيدي أسود التوحيد الأشاوس حماة الدين الفوارس عقيب أحداث معركة الفلوجة الثانية التي انتفخ جيش التحالف الصليبي بعد أحداثها بالكبر والغطرسة مما حمله على الإغترار الزائد بنفسه فساقه ذلك إلى عرين الموحدين المسَيَّج بالعز والمحمي بالإباء فقطع سياج العز دابر كبره وغطرسته وكسر حمى الإباء غروره، وإن كان للكفر وأهله دولة فالإسلام وأهله دول، والعاقبة للمتقين.

ولقد كانت معركة القائم أكبر معركة بعد معركة الفلوجة الثانية لأن عبّاد الصليب ظنوا أن التنظيم قد اتخذ من مدينة القائم مقراً له بعد فلوجة العز، فسارع القوم في غزو المجاهدين هناك للتذفيف عليهم في حد زعمهم، ولهذا أطلق جيش الصليب على تلك العملية اسم "ماتادور" أي مصارع الثيران وهو الشخص الذي يجهز على الثور الجريح في اللعبة الإسبانية البغيضة المعروفة بمصارعة الثيران، وهذا ما صرح به أحد كبار قادة الجيش الصليبي الجنرال الأمريكي جيمس كونوي كما جاء في مجلة العصر فقال: "إن العملية استهدفت ضرب رجال

المقاومة المسلحة في معاقلهم الجديدة التي أقاموها في إقليم الأنبار الغربي عقب هروبهم من الفلوجة في نوفمبر الماضي".

ولم يعلم ذلك العلج أن عمليتهم المنشودة ما هي إلا استدراجٌ من لدن حكيم خبير، قال تعالى ذكره: **{ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ }** الأنفال:٤٤.

ولئن كان قد صدق جنرال الكفر ذاك في تحديد الهدف من غزو جيش الصليب للقائم، فلقد كذب والله بوصف تحرف الذين لم تكتب لهم الشهادة على أرض الفلوجة للقتال ب "الهروب"، ووالله إن ذلك الكلب ليعلمن هو وساداته علم اليقين بأن تحرف المجاهدين للقتال وانحيازهم إلى فئة أخرى من إخوانهم لهو من استراتيجياتهم في حرب الشوارع أو ما يسمى ب "حرب العصابات"، على عكس التمركز والإستقرار في مكان ما تماماً، فإن معنى ذلك في قاموس فن حرب العصابات لا يعدو كونه تكتيكاً لاستدراج العدو، بحيث يتم تشتيت قواته واستنزاف طاقاته كما هو معلوم عند أهل الخبرة في ذلك الفن، ولو كان المجاهدون قد هربوا حقيقةً لما كانت تصريحات بعض قادة جيش الصليب تحمل في ثناياها ما ينسف وصف ذلك الجاهل المتغطرس بجهله تحرف المجاهدين وانحيازهم للقائم وغيرها بالهروب، فمن هرب من سهم لا يتصدى لرمح، ومن هرب من رصاصة لا يتصدى لقذيفة دبابة أو صاروخ طائرة، وإليك بعضاً من تلك التصريحات التي نقلتها مجلة العصر في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٥/٥/١٦:

"القوات الأمريكية واجهت مقاومة منظمة على جانبي نهر الفرات الذي يمتد عبر المنطقة، واضطرت لبناء جسر عائم عبر ضفتي النهر لجلب المركبات والمدرعة الثقيلة، حيث لم تكن هناك طريقة أخرى لنشر المركبات المدرعة في المنطقة، القادة الأمريكيون اعترفوا أنهم واجهوا مقاومة من عناصر محترفة وعالية التدريب، على نحو لم تعهده القوات الأمريكية في كثير من المدن العراقية.......، وقد أشارت التقارير الأمريكية إلى اندلاع قتال عنيف ومتزامن في العديد من المدن غربي العراق، وأن الجنود الأمريكيين تعرضوا لإطلاق نار من شرفات المنازل، ومن وراء حصون أقامها رجال المقاومة!!....، المقاومة العراقية في القائم وقبلها في الفلوجة وفي العديد من المدن العراقية الأخرى أثبتت أن لديها من المرونة ما يمكنها من نقل عملياتها إلى كافة أرجاء العراق، وأنها قادرة على تكبيد قوات الاحتلال خسائر فادحة، بما لديها من مهارات قتالية وتكتيكات، تؤهلها لشن هجمات مباغتة على القوات الأمريكية، وجرها إلى حرب عصابات في شوارع المدن والطرق الصحراوية، ليس لجنودها خبرة بها، ولا تفلح معها آلة الحرب الأمريكية، المزودة بأحدث التقنيات العسكرية." أهـ.

ففيما تقدم يتجلى لك أخي القارىء أي الفريقين جر ذيول الهزيمة مولياً دبره هارباً، لتتحقق بذلك سنة الله الكونية القدرية التي لا تتبدل ولا تتحول، قال جل وعلا: **{ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ! سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً }** الفتح:٢٢-٢٣

وإليك أخي الكريم أحداث تلك المعركة بالتفصيل:

ولكن قبل البدء بتفاصيل المعركة لا بد من ذكر بعض الأحداث التي جرت في بعض قرى المنطقة قبيل غزو الجيش الصليبي للقائم لأهمية ارتباطها بأحداث المعركة.

لقد تكلمنا في الفصل الأول من هذا الكتاب عن حرص أمريكا "فرعون هذا العصر" وحلفائها على إيجاد جماعات في العراق وفي غيرها من التي تتزيا بثوب الجهاد زوراً وبهتاناً لكسب دعم القاعدة الشعبية ومن ثم القيام بأعمالها القذرة نيابة عنها في تشويه صورة الجهاد والمجاهدين الربانيين من مهاجرين وأنصار، ومحاربتهم بشتى الوسائل الفرعونية.

ولقد استطاعت أمريكا تشكيل أول جماعة في مدينة القائم وفي منطقة حصيبة تحديداً، بقيادة ضابط عراقي سري يدعى أحمد العطية من عشيرة البومحل، ولقد أطلقت تلك الجماعة على نفسها اسم"كتائب الحمزة" والتي لم يطل الوقت حتى باتت تعرف فيما بعد عند أهالي القائم ب"كتائب الخسة" لما كشف الله عوارها وفضح سترها قبيل معركة القائم كما سيأتي.

بدأت هذه الجماعة كغيرها من الجماعات العميلة والمنشأة من قبل أمريكا بنشر بيانات جهادية رنانة تحمل في ثناياها نبرة عشائرية قومية خبيثة لاستقطاب النوعية الجاهلية المريضة الحريصة على المال والشرف والتي تحتاجها مثل تلك الجماعات للنجاح في مشروعها الفرعوني كما أسلفنا، وبعد أن قامت بتعبئة ما يقارب المئتي عميل في صفوفها بدأت بالتحول في أسلوب خطابها في تلك البيانات، والذي يعد بمنزلة المرحلة الثانية من مشروعها القذر الخبيث، وهو الخطاب اللازم لدعوى الجاهلية المنتنة، ويركز في تشويه صورة المهاجرين من المجاهدين خاصة ومن ثم الإشارة بأصبع الإتهام بالعمالة لكل من يآزر ويأوي المهاجرين أو ما يسمونهم ب "العرب" من إخواننا الأنصار، ولقد قرأت بعضاً من تلك البيانات فوجدتها وغيري من الإخوة ركيكة العبارة، عامية اللهجة، مجردةً تماماً من الخطاب الديني أو الإستشهاد بأقوال العلماء الربانيين فضلاً عن الإستشهاد بالآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية، وإن أكثر ما كانوا يركزون على تكراره وإشاعته في بياناتهم أن "العرب" - المهاجرين - هم عملاء للمخابرات السعودية جاءوا ليستحلوا العراق، وتارةً يقولون: أنهم وهابيون

تكفيريون، وأنهم لم يأتوا إلى العراق إلا لقتل المسلمين وسبي نساءهم وذراريهم، وتارةً ينعتونهم بالتلفية والسفلية - إشارة منهم إلى السلفية - وأنهم تجار ومدمنو مخدرات يريدون إفساد الشعب العراقي....إلى غير ذلك من التراهات التي لا تنطلي إلا على من ران على قلبه الجهل المدقع بحقيقة دينه ومنهج نبيه وسبيل المؤمنين الذي لم تَزِلَّ عنه بفضل الله ورحمته أقدام المجاهدين قيد أنملة، مما جعل أولئك الجهلة أرضاً خصبةً لزراعة بذور أمريكا وعملاءها الخبيثة، وقد قيل:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ولكي يستجيب عوام الناس لتلك الدعاوي الباطلة أو يصدقونها أو على أقل تقدير وقوفهم الحيادي بين التصديق والتكذيب لما تبثه كتائب الحمزة من افتراءات وبهتان لكي لا يكون بينهم منكرٌ لقتالهم المجاهدين وطردهم من أراضيهم فلا بد إذاً من شواهد ودلائل عملية تعينهم على تحقيق ذلك، وبالفعل، فلقد بدأت كتائب الحمزة بالخطوات العملية التي تفوق خباثتها تلك البيانات الخطابية بكثير، كخطف بعض الشباب من العوام من سوق حصيبة ثم التحقيق معهم وتعذيبهم بصورة وحشية على أنهم - أي المحققين - من تنظيم القاعدة، وكقصف بعض بيوت العوام في منطقة حصيبة والتي كانت مهد نشأتهم كما ذكرنا آنفاً، ثم ادعاؤهم بأن الذين أطلقوا تلك القنابل هم جنود تنظيم القاعدة من منطقة الكرابلة، ولانعدام تواجد المتهم - تنظيم القاعدة - عسكرياً أو حتى إعلامياً في حصيبة بحيث يكون دفع ونفي تلك الافتراءات ميسوراً، فضلاً عن اجتثاث مثل تلك الجماعات من شروشها ابتداءً، استطاعت تجنيد عددٍ أكبر من ذي قبل حتى وصل عددهم إلى ما يزيد عن خمسمائة مقاتل مما جعلهم يغترون بعددهم وعدتهم فحملهم غرورهم على الاستعجال في اتخاذ خطوتهم الأخيرة من مشروعهم الخبيث المتمثلة في قتال المجاهدين ومطاردتهم.

وما دروا أن خطوتهم تلك قد قربتهم من حتفهم خطوات، وأول ما بدأوا به تصديهم للإخوة المجاهدين، وإطلاق النار عليهم، ومطاردتهم كلما أرادوا دخول حصيبة لضرب القاعدة الأمريكية فيها.

ثم قاموا بأسر ثلاثة أو أربعة من الإخوة الأنصار وتعذيبهم بأساليبهم الوحشية كإطفاء سجائر الدخان في أجسادهم، والتركيز في ضربهم على منطقة الرأس والوجه، وحرمانهم من النوم والطعام والشراب لعدة أيام وليالٍ - حالهم حال فرعون وهامان وجنودهما - حتى بلغ بهم غرورهم إلى قاصمة ظهورهم إذ قاموا باقتحام بيوت بعض إخواننا الأنصار من عشيرة البومحل في منطقة حصيبة، بعدما علموا أن إخواننا ليسوا في بيوتهم بل وليسوا في منطقة

القائم كلها، فروعوا الأطفال، وكشفوا عورات المجاهدين، حتى بلغ بهم العدوان إلى ضرب العجائز من أمهات إخواننا الأنصار، وبذا طفح الكيل وفاض، وبلغ السيل الزبى.

ولما سمع الشيخ أبو مصعب رحمه الله تعالى بذلك أذن عندها باجتثاث بيضة القوم واستئصال شأفتهم.

فما ظنك يا أخي بأسود جائعة أرسلت في طلب فريستها، فالله الله في أسود التوحيد، الله الله في حماة الدين، الله الله في الذابين عن أعراض الأمة.

ففي غداة الخامس والعشرين من ربيع الأول من عام ستة وعشرين وأربع مائة وألف من الهجرة، أمطر المجاهدون معاقل الكفر والردة في حصيبة بأكثر من ثلاثمائة وخمسين قذيفة هاون بجميع أحجامها، ولم يمض سوى بضع ساعات حتى تفرق جمعهم وولوا مدبرين على أعقابهم.

ولما سمع عملاء كتائب الحمزة في مدينة العبيدي القديمة ما آل إليه أمر إخوانهم المرتدين في حصيبة استشاطوا غضباً وأخذوا يعدّون ويستعدون لفتح جبهة جديدة ضد المجاهدين في مدينة العبيدي الصناعية والتي كانت تحت سيطرة تنظيم القاعدة.

فبدأ قناصة كتائب الخسة باتخاذ مواقعهم على أسطح البنايات، ونصبوا مدافع الهاون، ورأينا بعضاً منهم يحملون البيكا هنا وهناك، ولأن المدينتين كانتا متقابلتين بخط متواز يزيد عن الألفين متر- ٢كيلو متر - تقريباً، كان من السهل على الإخوة رصد جميع تحركات العدو مما جعلهم يستغلون عنصر المباغتة الذي يسبب الإرباك والتخبط في صفوف العدو، فأطلق المجاهدون سبع قذائف هاون من عيار ستين ملم أو ما يسمى ب"المغاوير" والذي تسبب في إرباك صفوف العدو ولم يتجاوز عدد المجاهدين في تلك المعركة عن عشرة أشخاص، ووالله إنني رأيت بأم عيني بعض أولئك الأسود يرمي جنود الخسة بسلاح البيكا الفتاك واقفاً حاسر الصدر ليس دونه ساتر يحتمي وراءه أو يتقي به من رصاص العدو.

وما هي إلا نصف ساعة أو أقل حتى رفعوا رايات الإستسلام البيض على أسطح المنازل، وبعد ساعة أو ساعتين جاء بعض شيوخ ووجهاء عشيرة البومحل المحايدين يتفاوضون مع الإخوة لوقف إطلاق النار، فاشترط الإخوة لذلك شروطاً منها تسليم أسلحتهم بالكامل مع الذخيرة، وتسليم رؤوس الجماعة وقادتها، وإعلان التوبة لأفرادهم، وبعد بضعة جولات من ذهاب الوسطاء وإيابهم، جاء الخبر بموافقة كتائب الخسة على كل الشروط ما عدا شرطاً

واحداً، ألا وهو تسليم قادتهم، ولأن هذا الشرط كان أساسياً لوقف إطلاق النار لم يتنازل عنه الإخوة ألبتة.

فأخذ عندها الإخوة على عاتقهم خطف المطلوبين وأسرهم أو مطاردتهم واغتيالهم بحسب القدرة، وبالفعل فقد استطاع الإخوة قطف رأس الكفر منهم قائد الجماعة العقيد أحمد العطية وغيره من قادة المجاميع الصغيرة، واستطاعوا كذلك خطف وأسر أكثر من عشرين مقاتل منهم، وفي يوم الجمعة - أي بعد يومين من المعركة - قام أحد عملاء الحزب الإسلامي - الوجه الآخر للمشروع الأمريكي الخبيث - الذي كان إمام وخطيب أكبر مسجد في مدينة العبيدي الصناعية بالتلبيس على المسلمين في خطبة الجمعة بعد أن قلب الحقائق وزور الأحداث ليستغلها في تشويه صورة الجهاد والمجاهدين بادعائه أن ما حصل قبل يومين ما هو إلا فتنة تأكل الأخضر واليابس وأن حل النزاع بين المجاهدين وكتائب الخسة كان لا ينبغي له أن يتجاوز الحوار الهاديء، ولكن التنظيم اختار الحل العنيف والدموي، ولما سمع أمير المدينة كلام الخطيب جاء إلى المنزل الذي كنت فيه أنا ومجموعة من الإخوة، وطلب من أحد الإخوة أن يجهز نفسه للذهاب إلى المسجد والتعقيب على كلام ذلك الخطيب، وكشف شبهاته التي ألقى بها على مسامع وقلوب المصلين، وإزالة تلبيساته الكاذبة، وبالفعل فقد لبس ذلك الأخ المنتدب لأمة الحرب وخرج في مجموعة من إخوانه ليحرسوه ويرقبوا محيط المسجد خشية وجود بعض المنافقين هناك أو اتصال أحدهم بالأمريكان عند دخول ذلك الأخ إلى المسجد، ولما وصل الإخوة إلى المسجد انتظروا حتى انقضت الصلاة ثم دخل الأخ إلى المسجد فحمد الله سبحانه وتعالى وأثنى عليه بما هو أهله، ثم التفت إلى الخطيب متبسماً وقال له بكل هدوء: "جزاك الله خيراً لحرصك على وحدة الصف وتحذيرك الناس من الفتن أطفأ الله نارها، ولكن العبد الفقير سيتكلم نيابة عن إخوانه المظلومين معقباً على بعض ما ورد في الخطبة لتتحقق الفائدة المرجوة من الخطبة والمتمثلة بجمع الصف والتحذير من الفتن".

ثم أخذ يسرد ما وقع من أحداث منذ بداية ظهور كتائب الخسة إلى يوم الأربعاء كاشفاً عوارهم مفنداً شبهاتهم فاضحاً سترهم مستدلاً ببعض بياناتهم التي كانت في حوزته تلك اللحظة، ثم أخذ يذِّكر الناس بوجوب الجهاد ووجوب نصرة المجاهدين بالنفس والمال وبذل الغالي والنفيس في دفع العدو الصائل، حتى ختم كلمته وهو يبكي قائلاً: "ولكنكم إذا لم تقووا على بلوغ ذروة سنام الإسلام، ولا تستطيعون نصرة من رامها، فعلى أقل تقدير كفوا ألسنتكم عنا، واتركوننا وديننا وجهادنا كما تركناكم ودنياكم، واعلموا أننا والله لم نأت إلى دياركم - وكان ذلك الأخ من المهاجرين - إلا ذباً عن أعراضكم، وحقناً لدمائكم، فلقد هجرنا أهلينا لتتمتعوا بأهليكم، ولقد تركنا أباءنا وأبناءنا وراءنا، لتقر أعينكم بآبائكم

وأبنائكم، وإنَّه من يقتل منا إنما يقتل من أجل أن تحيوا أنتم والأمة من وراءكم في ظل شريعة الرحمن التي لا حياة إلا بها **{ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }** البقرة:١٧٩، ولقد أخذنا على عاتقنا، أن نحول بين أمريكا وبين استعبادها لكم بأن تدينوا لها بدين الديمقراطية الذي جاءت لفرضه عليكم بالقوة، وخاصة بعد أن من الله عليكم بكسر الطاغوت صدام الذي لولا فضل الله عليكم ورحمته لما كان لكم إلى كسره من سبيل، ولولا أن ضرب الله الكافرين بعضهم ببعض لما زلتم تدينون له بالبعثية الشيوعية، وإذا كان العالم بأسره يتسائل عن سبب مجيئنا إلى بلاد الرافدين إلى هذه الساعة، فلا أملك إلا أن أقول لكم وللعالم أجمع متمثلاً بقول الصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه عندما سأله قائد الفرس رستم في معركة القادسية التي دارت رحاها على ربوع بلادكم قائلاً: ما الذي جاء بكم إلى بلادنا؟، فأجابه بعزة المجاهد وأنفة الموحد وكرامة المسلم وقال: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة".

ثم ما إن انتهى من كلمته بالثناء على الله سبحانه وتعالى، والصلاة على نبيه، حتى ضج المسجد بدوي تكبير المصلين وبكائهم، ولقد آتت كلمة الأخ تلك أكلها في معركة القائم التي وقعت بعد يومين من تاريخها كما سيأتي معنا.

هذا ولخشية أمريكا من أن يستأصل المجاهدون كتائب الخسة عن بكرة أبيهم، ولأنهم بمنزلة الرحم الذي سيتمخض عنه الجماعة الأكبر عدداً والأوسع نطاقاً، وهو ما يسمى اليوم بمجاميع الصحوات، فقد قام الجيش الصليبي بالتسريع من عملية غزو القائم التي أطلقوا عليها اسم مصارعة الثيران "الماتادور" والتي بلغنا أنهم كانوا يعدون لها العدة منذ أكثر من أسبوعين.

ففي الساعة الرابعة من فجر يوم الأحد التاسع والعشرين من ربيع الأول عام ستة وعشرين وأربعمائة بعد الألف من الهجرة النبوي الموافق للثامن من مايو من العام الخامس بعد الألفين من تأريخهم، قام المجاهدون لأداء صلاة الصبح وإذا بصوت غريب لم يعتد الناس سماعه في مدينة العبيدي من قبل، صوت ضجيج قوي يملأ الأجواء، فأرسل الأمير بعض الإخوة ليأتوننا بالخبر اليقين، وبعد ما يقارب الربع ساعة اتصل الإخوة بنا وقالوا أنهم يرون بعض الآليات العسكرية تتحرك نحو الجهة الجنوبية للمدينة، ولشدة الظلام في تلك الليلة لم يستطع إخواننا تحديد عدد الآليات أو نوعها.

وبقي الإخوة على درجة عالية من الحذر، حتى دخل وقت الصبح وانجلى الظلام، فجاءنا اتصال آخر من الإخوة يبلغوننا فيه بأن عدد الآليات العسكرية يفوق المئة حسب

توقعاتهم وأنها بدأت بمحاصرة المدينة من الجهة الجنوبية، وبالفعل فلقد جاء في تصريحات العدو لاحقاً أن قوام الجيش في تلك العملية كان نحواً من ألف ومئتي جندي وكان عدد الآليات مئة وعشرين آلية ما بين همر ودبابة وناقلة جنود وبعض الجرافات الإنشائية التي قامت بوضع سواتر ترابية ليحتمي بها جند الصليب من وابل رصاص المجاهدين، وبعد أن صلى المجاهدون صلاة الصبح صلاة مودع - ولم أعرف كيف تكون صلاة المودع حقيقةً إلاّ في ذلك اليوم - أخذ الكل يتجهز للقاء العدو ودفع صولته، وكان عدد الإخوة في مدينة العبيدي لا يتجاوز الخمسة والعشرين مجاهد، منهم ما لا يقل عن سبعة أو ثمانية إخوة ليس لهم أي خبرة عسكرية البتة، وربما لم يطلق البعض منهم رصاصة واحدة في العراق لحداثة عهده بدخوله، وكذلك في الكرابلة فإن عدد الإخوة المجاهدين لم يتجاوز الخمسين أخاً.

ومع حلول الساعة السادسة صباحاً كان المجاهدون قد اتخذوا مواقعهم على مداخل المدينة الجنوبية، وتسلل إخواننا القناصة إلى أسطح البنايات الواقعة في الصف الأول من مباني المدينة، وبدأوا بصيد رؤوس عباد الصليب رأساً تلو الرأس، وبدأت كذلك مجموعة المدفعية بدك الصليبيين بقذائف الهاون مستغلين بذلك عنصر المباغتة والمفاجأة مما أرعب العدو وأربك صفوفه، ولم يكن في حوزة المجاهدين سوى خمسة وثلاثين قذيفة هاون من عيار ٦٠ملم و٨٢ملم، والتي لم ينفجر منها خلال المعركة إلا أربعة وعشرون فقط، وأما ما تبقى فقد كانت صواعقها فاسدة بسبب طول التخزين، وبعد ما يقارب النصف ساعة استغاث جيش الصليب كعادتهم بالمروحيات والمقاتلات، وجاء ما يقارب الخمس مروحيات من طراز "كوبرا" كما صرح بذلك قادتهم لاحقاً، وحاولت تلك المروحيات دخول أجواء المدينة ولكن أسود التوحيد كانوا لها بالمرصاد، فبدأوا برميها من كل جانب حتى أصابوا إحداها مما تسبب في انفجارها وسقوطها على الفور، ثم ولت أخواتها الدبر وظنوا أن المجاهدين قد أصابوا طائرتهم بصاروخ مضاد للطيران، فلم يعيدوا الكرة حتى جاءت مقاتلات ال "إف١٨" وال "تورنيدو جت" وحلقت إحدى هذه الأخيرة قريباً من صطح الأرض مما جعلها في مرمى القناصة ومقاتلي البيكا، ولما اقتربت من المدينة قامت بإسقاط كمية كبيرة من الشرائح الحرارية التي تقوم في دورها بتضليل الصواريخ المضادة للطيران والتي كان عباد الصليب يخشون أن تكون في حوزة المجاهدين، ولم يكن عند الجاهدين في مدينة العبيدي يومها أي نوع من الأسلحة المضادة للطيران، إلا دوشكا واحدة من عيار ١٢,٥ والتي لم يكن الإخوة قد جمعوها بعد، ولما تيقن الإخوة أن المقاتلة قد صارت في مرماهم، أخذوا يرمونها عن قوس واحدة ولم يزالوا يمطرونها بوابل رصاصهم حتى بدأ الدخان الأسود يخرج من جنباتها، وحاولت جاهدة الإرتفاع مجدداً للهروب والإبتعاد عن مرمى الإخوة ولكن الله حال بينها وبين ذلك فلم تبتعد سوى بضع مئات من الأمتار حتى هوت ساقطة في الصحراء أمام أعين المجاهدين مما رفع معنوياتهم ومعنويات أهل المدينة كذلك، وضجت المدينة عندها بالتكبير والتهليل.

وفي فترة انشغال المجاهدين بقتال الطائرات استطاع العدو أن يستعيد جمع صفوفه وتركيزه، فأخذ يقصف المدينة بصواريخ المورتر، وكان عندهم جهاز إلكتروني يعمل على تحديد المكان الذي يطلق المجاهدون منه قذائف الهاون مما أتعب المجاهدين جسدياً وخاصة جماعة الهاون من عيار ٨٢ملم بحيث كانوا يضطرون إلى نقل معداته الثقيلة بعد إطلاق قذيفتين أو ثلاثة قذائف إلى مكان جديد بعيد عن المكان الذي أطلقوا منه، وكان يلزمهم القيام بذلك في أقل من أربعة دقائق وهو الوقت الذي يحدد فيه العدو مكانهم ومن ثم يرد عليهم بقصف شديد.

واستمرت المعركة على هذا الحال لمدة سبع ساعات متواصلة، لم يستطع - والله الذي لا إله إلا هو - أحد من جند الصليب أن يطأ بقدميه مدينة العبيدي خلالها، ولم يقتل أو يصب أحد من الإخوة خلال تلك الساعات السبع إلا اثنين من مجموعة الهاون الذين قتلوا في الساعات الأخيرة، بعدما أنهكتهم كثرة التنقل بمعدات الهاون مما جعل حركتهم أبطأ من سرعة رد العدو، وجرح أحد الإخوة بجرح خفيف جداً في وجهه وكان أيضاً من مجموعة الهاون.

هذا وبدخول وقت الظهر من ذلك اليوم لم يبق في حوزة مجموعة الهاون أي قذية يطلقونها، وكذلك باقي المجاميع فلقد بدأت ذخيرتهم بالنفاذ، ولجأ حينها بعض الإخوة إلى المساجد وأخذوا ينادون عبر سماعاتها الخارجية على أهل المدينة ويطلبون إمدادهم بما عندهم من ذخيرة وسلاح، وبالفعل فقد استجاب أهل المدينة لذلك النداء ولكن الذي أتوا به من العتاد لم يكن كافياً للإستمرار في المعركة، وبطبيعة الحال فقد خف رمي الإخوة كثيراً مما جعل العدو يدرك أن المجاهدين على وشك أن يستنفذوا آخر ما عندهم من الذخيرة، وبدأ عباد الصليب بتشغيل مكبرات الصوت التي بثوا خلالها موسيقى عبدة الشيطان الصاخبة أو ما يسمى ب"HEAVY METAL" وكان ينبح بعض المترجمين العراقيين واللبنانيين العملاء الذين كانو بصحبة أوليائهم من الصليبيين بين الحين والآخر، قائلين: "سلموا أسلحتكم أيها الإرهابيون، نحن نعلم أنه لم يعد عندكم ذخيرة، وسلموا أنفسكم واستسلموا أيها الجبناء، وكفاكم احتباءاً وراء النساء."

الله أكبر، ينبح أولئك الكلاب وينعقون بذلك نيابة عن أربابهم من الجيش الصليبي الذي يزيد تعداده عن ألف ومئتي جندي مدججين بأحدث أنواع السلاح متحصنين في بطون أعتى آلة عسكرية متدرعين بسواتر رملية عالية، تحرسهم طائرات مقاتلة، ينعتون خمسة وعشرين أخاً من المجاهدين بالجبن بعدما نفذت ذخيرتهم وبعدما حال أولئك الأبطال الشجعان بين الجيش الصليبي ودخوله أرض المدينة، وبين طائراته ودخولها سماء المدينة.

وفي عصر ذلك اليوم استطاعت مجموعة من القناصة الصليبية دخول أطراف المدينة بعد انسحاب المجاهدين منها إلى الخطوط الخلفية، وبدأت الطائرات الصليبية تمشيط المدينة بقصف عشوائي كعادتها، ودخلت كذلك الدبابات والهمرات، وآزرت الدبابات تلك الطائرات بقصفها المدفعي العشوائي أيضاً طوال تلك الليلة، وقتل أربعة إخوة في تلك الليلة كلهم قضوا برصاص القناصة، نحسبهم شهداء عند باريهم سبحانه وتعالى ولا نزكي على الله أحداً.

ولقد استمرت بعض المناوشات في المدينة لمدة ثلاثة أيام، إلى أن انحاز جميع الإخوة الذين لم تكتب لهم الشهادة في تلك المعركة إلى إخوانهم خارج المدينة.

ثم توجه الجيش الصليبي إلى مدينة الكرابلة، ولكنه اتبع في هذه المرة تكتيك القصف المكثف قبل دخول آلياته وراجلته أرض المدينة، وبفضل الله وكرمه استطاع المجاهدون في الكرابلة إسقاط سبعة مروحيات خلال العشرة أيام التي دارت خلالها المعركة، ودمروا العديد من الآليات، وكانت حصيلة القتلى في صفوف الجيش الصليبي في كلتا المدينتين حوالي خمسة وتسعون علجاً.

ولكن العدو لم يعترف كعادته إلا بعشرة قتلى في مدينة العبيدي وتسعة قتلى في مدينة الكرابلة ستة عشر منهم قضوا في حادث سير!!!!.

ومن طرائف وتخبطات قادة الجيش الصليبي في تلك العملية ما أصدروه من بيانات غريبة مضحكة عقب انتهاء المعركة وأوصاف عجيبة وصفوا بها المجاهدين، منها قولهم كما جاء في بيانهم الذي نشرته ال"BBC" على موقعها الإلكتروني بتأريخ ٢٠٠٥/٥/١٤: "وكان الجيش الأمريكي قد أعلن أنه قتل أكثر من ١٢٥ مسلحاً خلال العملية التي شارك فيها حوالى ألف من الجنود الأمريكيين، واعتبرت أضخم عملية ضد المتمردين منذ الهجوم على مدينة الفلوجة في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي". وجاء في ذلك البيان أيضاً: "طبقا للقادة في المنطقة، **فإن السكان المحليين استقبلوا رجال المارينز بترحاب فاق المعتاد،** إلا أن جنرالا أمريكيا بارزا كان قد أشار إلى **أن القوات الأمريكية واجهت مقاومة شرسة فاقت المعتاد خلال عملية مصارعة الثيران**".

ولاحظ أخي الكريم تناقض القوم الغبي بادعائهم أن السكان قد استقبلوهم بترحاب فاق المعتاد، وقولهم في نفس الوقت أنهم واجهوا مقاومة شرسة فاقت المعتاد أيضا، فقل لي بربك كيف يجتمع هذان النقيضان!!!!.

وجاء أيضا في بعض تصريحاتهم التي نقلتها عدة مواقع على الإنترنت قولهم: "أن القوات الأمريكية واجهت مقاومة منظمة على جانبي نهر الفرات الذي يمتد عبر المنطقة"، وجاء أيضاً: "أن القادة الأمريكيون اعترفوا أنهم واجهوا مقاومة من عناصر **محترفة وعالية التدريب**، على نحو لم تعهده القوات الأمريكية في كثير من المدن العراقية، وأن بعض رجال المقاومة كانوا **يرتدون السترات الواقية ضد الرصاص**"، وأيضاً: "في وقت مبكر من مايو كانت القوات الأمريكية قد حاصرت المدينة تماماً استعداداً لاقتحامها، **في حين قام رجال المقاومة بإنشاء العديد من الحصون على أطراف المدينة**، وقسموا أنفسهم إلى خلايا صغيرة، للقيام بهجمات سريعة وخاطفة ضد القوات الأمريكية".أهـ

ألا ليت شعري، لو علم القوم قلة خبرة إخواننا العسكرية وخاصة في مدينة العبيدي، ولو أنهم علموا كذلك قلة حيلتهم وشح ذخيرتهم لطأطأوا رؤوسهم خجلاً من تلك التصريحات، ولكن ربما كان بعض ما شاهدوه مما لم نشاهده نحن حقيقياً، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: **{ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ! ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ }** الأنفال:١٧-١٨.

وفيما يلي سياق سير شهداء معركة القائم التسعة تقبلهم الله.

أبوعادل، أو أبو فتحي التيواني الأنصاري (رحمه الله).

كان أبو فتحي رحمه الله تعالى أمير مضافة المهاجرين الجدد في مدينة العبيدي الذين لم يتم تدريبهم وتوزيعهم على المجاميع بعد، وكان رحمه الله قليل الكلام شفيقاً على إخوانه من المجاهدين الجدد، رفيقاً بهم، لا تخاله إلا أباً لهم حريصاً على كل ما ينفعهم، صبوراً على تعليمهم مبادىء الأمنيات، ووجوب طاعة الأمير وغيرها مما يلزم المجاهد المبتدىء معرفته، وكان رحمه الله شديد الحب للمجاهدين يستصغر نفسه أمام الجندي الجديد منهم فضلاً عن الأمير القديم، وكان في الإنفاق على إخوانه آية من آيات الجود والكرم.

ولقد أكبرته لكلام قاله لي ذات يوم، إذ جاءني يشتكي بعض ما يطلبه الإخوة في المضافة من مشتريات فقال: إن فلان وفلان يطلبون مني شراء بعض الحاجات الغير ضرورية من أطعمة وأشربة وغيرها، وأنا أريد منهم أن يتعودوا على الخشونة قليلاً لغلبة الظروف الصعبة والشاقة في أرض الجهاد على الرفاهية منها، فقلت له: إذا كنت ترى أن بعض المشتريات غير ضرورية فلا تشتريها إذاً، ونبه الإخوة على الإقتصاد فيما يطلبونه فلا يطلبون إلا شراء الأشياء الضرورية، فأجابني بكلمات لا يزال صداها يطرب أذني قائلاً: "والله إنني لأخجل يا أبا عبد الرحمن من أن أرد طلب أحد إخواني المجاهدين، وخاصة المهاجرين منهم الذين لم يأتوا إلى هذه البلاد إلا لنصرة دين الله وذباً عن دمائنا ودفعاً عن أعراضنا، فلربما يقتل أحدهم قريباً وقد مَنَعْتُهُ شيئاً طَلَبَتْهُ نفسه، فكيف أسامح نفسي عندها؟.

فلله درك يا أبا فتحي ما أكرمك، وما أرحمك على إخوانك،

تراه إذا ما جئته متهللا — كأنك تعطيه الذي أنت سائله
فلو لم يكن في كفه غير روحه — لجاد بها فليتق الله سائله
هو البحر من أي النواحي أتيته — فلجته المعروف والجود

ولقد كان أبو فتحي رحمه الله أحد أول قتيلين في معركة العبيدي من مجموعة الهاون التي كان لها في تلك المعركة نصيب الأسد من دفع صولة الجيش الصليبي على المدينة، فلقد أصابته شظية من شظايا القنابل التي كان العدو يرد بها على مجموعته وكان فيها مصرعه رحمه الله، فأسأل الله أن يتقبلك يا أبا فتحي بقبول حسن، وأسأله سبحانه أن يكرم نزلك كما أكرمت نزل إخوانك، وأن يحسن إليك كما أحسنت إليهم، إنه جواد كريم.

أبو ناصر الأنصاري (رحمه الله).

ثاني قتلى معركة العبيدي، لم ألتق بأبي ناصر سوى مرتين أو ثلاثة، إذ أنه كان من المهاجرين الجدد، نعم لقد كان أنصارياً مهاجراً غريباً من الغرباء الذين اجتمعت فيهم غربة الدين والدنيا كما ذكرنا في فصل الغربة، ولم نتحدث كثيراً في أول لقاء أو لقائين، ولكن في لقائنا الأخير جرى بيني وبينه حديث برزت فيه نفاسة معدنه الطيب، وكان ذلك اللقاء في ليلة السبت التي سبقت المعركة، إذ جاء لزيارتنا مع بعض إخواننا، وكان أميرنا قد أحضر لنا سلاح البيكا قبل يومين، والذي كنا قد طلبناه منه لحاجة مجموعتنا إليه بعدما تعطل سلاحنا في قتالنا لكتائب الخسة.

ولما رأى أبو ناصر تلك البيكا قال: "من أين لكم هذه البيكا؟"، قلت له: أحضرها لنا الأمير، فقال: "هذه بيكتي"، فقلت له: نحن لا نعرف بيكا من هذه ولا من أين جاء بها أميرنا، فقال: "سآخذها معي وأضعها في مجموعتي"، فسألته: هل عندكم بيكا غيرها؟، فقال: "نعم"، قلت: أما نحن فليس عندنا غيرها، وسنرجعها إليك عندما نرزق بغيرها إن شاء الله تعالى، فقال: "بل سآخذها الآن لأنني بحاجة إليها"، فقلت له: إذا كانت نفسك تطيب بأن تترك إخوانك بدون هذا السلاح الذي تعلم أنت أنه أهم سلاح في المجموعة بعد ال "أر بي جي" فخذه، ولكن إذا باغتنا العدو ولم نجد عندها ما ندفع به عن أنفسنا وعن المدينة فأرجو عندها أن تتحمل ملامة نفسك، فقال عندها: "لا والله يا أخي لا تطيب لي نفسٌ بأن أبات محصّناً بالسلاح وإخواني عزل، فخذوا هذه البيكا ولا ترجعوها إلي حتى لو توفر عندكم غيرها فهي هدية مني إليكم"، ولم يدر رحمه الله أنه ربما يكون قد اشترى الشهادة بتلك البيكا التي آثرنا بها على نفسه، والتي نسأل الله تعالى أن يكون قد نالها في صبيحة اليوم التالي، نحسبه كذلك والله وحده حسيبه ولا نزكي على الله أحداً.

أبو عبد الله التونسي (رحمه الله).

كان أبو عبدالله رحمه الله تعالى من مقاتلي الفلوجة الذين لم تكتب لهم الشهادة فيها، وكان أبو عبدالله في اللجنة الشرعية في الفلوجة بإمارة الشيخ أبي أنس الشامي رحمه الله، وبعدما خرج أبو عبد الله من الفلوجة وانحاز إلى إخوانه في القائم، طلب من أبي صهيب القصيمي رحمه الله وكان خليفة أبي أنس الشامي في الإمارة الشرعية، طلب منه أن يأذن له في ترك اللجنة الشرعية لرغبته في الالتحاق بالمجاميع القتالية.

والذي كان يستمع لحديثه وهو يتكلم عن سيرة شيخه أبي أنس رحمه الله وعن غيره من إخوانه الذين قضوا في معركة الفلوجة الثانية، لم يستغرب البتة من طلبه ذاك، لما يسمعه من ألحان الشوق إلى إخوانه التي كانت تحملها نبرات صوته، ولما يرى من لهيب الحرقة في عينيه على دماء إخوانه الطاهرة، وحرارة الانتقام لأرواحهم الزكية، وكأن لسان حاله يحدو قائلاً:

هل ترانا نلتقي أم أنها ... كانت اللقيا على أرض السراب
ثم ولت وتلاشى ظلها ... واستحالت ذكريات للعذاب
هكذا يسأل قلبي كلما ... طالت الأيام من بعد الغياب
فإذا طيفك يرنو باسما ... وكأني في استماع للجواب
أولم نمضي على الحق معا ... كي يعود الخير للأرض اليباب
فمضينا في طريق شائك ... نتخلى فيه عن كل الرغاب
ودفنا الشوق في أعماقنا ... ومضينا في رضاء واحتساب
قد تعاهدنا على السير معا ... ثم آجلت مجيبا للذهاب
حين ناداك رب منعم ... لحياتك في جنان ورحاب
ولقاء في نعيم دائم ... بجنود الله مرحا للصحاب
قدموا الأرواح والعمر فدا ... مستجيبين على غير ارتياب
أيها الراحل عمراً في شكاتي ... فإلى طيفك أنات عتاب
قد تركت القلب يدمي مثقلا ... تائهاً في الليل في عمق الضباب
وإذا أطوي وحيداً حائرا ... أقطع الدرب طويلا في اكتئاب

وإذا الليـــــل خضـــــم مـــــوحش تتلاقـــــى فيـــــه أمـــــواج العـــــذاب
لم يعـــــد يـــــبرق في ليلـــــي ســـــنا قـــــد تـــــوارت كـــــل أنـــــوار الشـــــهاب
غـــير أني ســـوف أمضـــي مثلمـــا كنـــت تلقـــاني في وجـــه الصـــعاب
ســـوف يمضـــي الـــرأس مرفوعـــاً فـــلا يرتضـــي ضـــعفاً بقـــول أو جـــواب
ســـوف تحـــدوني دمـــاء عابقـــات قـــد أنـــارت كـــل فـــج للـــذهاب

وفي ليلة من الليالي تناقشت معه في مسألة الجمع في الصلاة للمهاجرين من المجاهدين، ولقد أعجبتني سرعة استحضاره للأدلة التي يحتاجها في استشهاداته، والذي أعجبني أكثر، هدوئه وتواضعه وخلقه الرفيع في الحوار، إذ أنه رحمه الله لم يكن يتلفظ ببنت شفة حتى أنتهي من كلامي مهما بلغتُ فيه من الإستطراد.

ولقد قتل رحمه الله برصاصة قناص صليبي غادرة في الساعات الأولى مساء اليوم الأول من أيام المعركة، مخترقةً رأسه الشامخ وهو في ذروة استئساده في مقارعة عباد الصليب، ولقد روى لي قصة مقتله أحد الإخوة من أهل المدينة الذي آوى أبا عبدالله بعد تحرفه لقتال أعداء الله عند دخلوهم المدينة.

فقال: "لقد التقيت بأبي عبدالله في سوق المدينة عندما كنت ذاهباً إلى بيتي فسلمت عليه وتحدثت معه قليلاً ثم دعوته للذهاب معي إلى بيتي فرد الدعوة في بداية الأمر ثم قبلها بعدما أخبرته بأن البيت لا يوجد فيه غيري لأن الأهل قد لجأوا إلى القرية المجاورة وإنني قد بقيت لوحدي لكي أحرس البيت من سرقة وتخريب الجيش والمنافقين، وبعد دخولنا البيت بساعة أو ساعتين، سمعنا صوت ضجيج الآليات العسكرية وهي تدخل الحي الذي كنا فيه، فقال أبو عبدالله: "يجب أن أخرج من هنا"، فقلت له: لا بل ابق في البيت فأنت هنا إن شاء الله في مأمن من الطيران والقناصة، فقال أبو عبدالله: "بارك الله فيك يا أخي ولكنك تعلم أن أعداء الله سيبدأون بتفتيش البيوت عن قريب، وأخشى أن يعلموا بوجودي في بيتك فيقومون عندها بقصفه كعادتهم"، فأصررت على بقائه عندي ولكن إصرار أبي عبدالله كان أكبر، ولما توجه أبو عبدالله إلى بوابة البيت الأمامية سمع صوت الجنود وهم يقتحمون البيت المجاور فتوجه عندها إلى سور المنزل الخلفي، ثم قفز عنه والتف من وراءه ليصل إلى الشارع الأمامي ثم اختبأ في مكان ينتظر فيه خروج الجنود من البيت الذي اقتحموه، وكانت في يده قنبلة يدوية قد سحب منها مسمار الأمان ليباغت بها العلوج عند خروجهم من البيت، وبالفعل، فلما خرج العلوج من ذلك البيت وتأكد أبو عبدالله من أن جميع الجنود الذين دخلوه قد خرجوا منه ولم يبق أحد منهم في داخله، قذف بساعده المبارك قنبلته في وسطهم

فأرداهم جيف هامدة، وكان عددهم خمسة، ولبث قليلاً ثم توجه إليهم ليأخذ سلبهم لشدة حاجته إلى السلاح والذخيرة، وما أن وصل إليهم حتى كانت رصاصة منيته أسرع وصولاً إليه من وصوله إلى السلاح، وبهذه النهاية يكون قد أثبت رحمه الله صدقه في الثأر لإخوانه، منهياً بذلك مرارة الشوق للقيا أحبته في ظل عرش الرحمن سبحانه وتعالى، يسرح معهم في الجنان كيفما شاء، أحسبه كذلك، وأتضرع إلى الله له بذلك والله حسيبه ولا أزكي على الكريم المنان أحداً.

وإن كنت أنسى فلن أنسى ما أخبرني به أحد الإخوة الذين تسامروا معه ليلة السبت إذ قال لي أن لسان أبي عبدالله لم يفتر من تذكيرهم بقراءة القرآن وتدبره وتحذيرهم من التقصير في ذلك، وكان أبو عبدالله حافظاً لكتاب الله سبحانه وتعالى، وأظن أنه كان يحفظ الكثير من المتون العلمية كذلك، كما كان واضحاً عندما تباحثنا في مسألة الجمع في الصلاة للنازل، فرحم الله أبا عبدالله ورفعه بالقرآن، وأسكنه بخالص فضله فسيح الجنان، آمين.

أبو مزلزل التونسي (رحمه الله).

للأسف الشديد فإنني لا أعرف الكثير عن أبي مزلزل إلا أنه كان في اللجنة الإعلامية في مدينة القائم، وكانت لقاءاتنا بإخواننا الإعلاميين شحيحة جداً لكثرة انشغالهم بأمور الإعلام، والتي لا تقل أهمية عن الجهاد بالسلاح، ولكن الله شرفني بمعرفة هذا الرجل خلال السبع ساعات الأولى من المعركة إذ قدر الله سبحانه وتعالى لنا أن نكون جنباً إلى جنب في نفس المجموعة، ولأن لكل مسمىً نصيب من اسمه كما قال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى، فلقد كان أبو مزلزلٍ مزلزلاً لصفوف الأعداء، فلم يعطهم رحمه الله فرصة ليتنفسوا من شدة رميه لهم بسلاحه الفتاك البيكا، وخاصة في بداية المعركة، ولقد رأيته وهو يرمي جند الشيطان حاسر الصدر دون أن يتخذ ساتراً، ولم يزل سلاحه يزغرد برمي الرصاص حتى لم يبق معه رصاصة واحدة، فتحول عندها لكلاشنكوفه، وكنا عندها نعد أنفسنا للإنسحاب إلى الوراء قليلاً بحيث نعيد تجميع صفوفنا، ونجمع كذلك بعض الذخيرة التي نحتاجها للاستمرار في القتال كما أسلفنا.

وفي خلال الإنسحاب مررنا ببستان جميل جداً فجلسنا فيه لنأخذ قسطاً من الراحة تحت ظل الأشجار لشدة التعب الذي ألمَّ بنا بسبب كثرة المشي ونحن نحمل المعدات الثقيلة من الأسلحة على أكتافنا، وما إن جلسنا قليلاً حتى غلبنا النعاس، فنمنا هناك ما يقارب النصف ساعة، وعندما استيقظنا شعرنا بنشاط عجيب وكأننا لم نمش خطوة واحدة، وكأننا كنا في نزهة ولم نكن في قتال.

ووالله إن قتال أعداء الله من أجل رفع راية لا إله إلا الله لهو ألذ نعيم يمن الله به على عبده في هذه الحياة الدنيا.

وبعد ما مشينا قليلاً كان القناصة الصليبيين قد اتخذوا مواقعهم، ولما رأونا بدأوا بإطلاق نيرانهم علينا، فاضطررنا عندها لتقسيم أنفسنا إلى مجموعتين، كل مجموعة تتكون من ثلاثة مقاتلين، ثم افترقنا عن بعضنا البعض، ولم ألتق بعدها بأبي مزلزل إلا في اليوم التالي، عندما ذهبت إلى المقبرة لدفن القتلى مع بعض إخواني وإذا بأبي مزلزل وقد أصابته رصاصة قناص في رأسه فقضى بها نحبه.

ولقد أخبرني الإخوة الذين كانوا معه في مجموعته، أنهم لما افترقوا عنا لجأوا إلى بيت مهجور من بيوت المدينة، فلبثوا فيه قليلاً ثم قرر أبو مزلزل رحمه الله تعالى أن يخرج مجدداً إلى شوارع المدينة لجلاد الصليبيين، ولما عزم أمره على ذلك استقبل القبلة وتنفل بركعتين، وبعد فراغه من الصلاة توجه إلى الباب، وما درى رحمه الله أنه على موعد مع منيته وكأن القناص

كان يتربص بانتظاره، وما إن أطل برأسه من الباب حتى رماه بالرصاصة التي كتب عليها اسمه، فقتل مقتحماً لأسباب المنايا مقبلاً غير مدبر، فأنعم بها من منية وأنعم بها من خاتمة، أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يغفر له ويرحمه ويرزقه الفردوس الأعلى، آمين آمين آمين.

أبو عبدالله اليمني (رحمه الله).

وأكرر أسفي الشديد هنا أيضاً، لأنني لا أعرف الكثير عن هذا الجبل الأشم، لأنه لم يكن قد مضى على دخوله العراق إلا بضعة أسابيع، ولم أره إلا مرتين، أما المرة الأولى فكانت عندما قدم لزيارتنا مع بعض الإخوة، ولم يتعد حديثنا في ذلك اللقاء بعض عبارات الترحيب، وأما المرة الثانية، فلقد رأيته بين إخواننا القتلى في المقبرة، وكان رحمه الله قد أصيب برصاصة قناص دخلت في عينه وخرجت من مؤخرة رأسه، ولم ولن أنسى بإذن الله تلك الإبتسامة الجميلة التي رأيتها وقد رسمت على وجهه عندما كشفتُ الغطاء عنه في المقبرة.

لقد قلت آنفا أنني لا أعرف عن أبي عبدالله الشيء الكثير، بل إنني لا أعرف عن سيرة حياته شيئاً البتة، ولكن الذي لم أعدم معرفته هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر عباد الله الصالحين أنه في اليوم الذي ستدنو فيه الشمس حتى تقف وليس بينها وبين رؤوس الخلائق إلا مقدار الميل، فيلجم بالعرق من أقصاه الله عن جنابه، ويذوق حرارة لهيبها من شب وشاب في عصيانه، ويصلى حميمها من أفنى عمره غريقاً في بحر شهواته، بشرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن أناساً سيكونون في مأمن من ذلك كله، أناساً لا تعرف الشمس في ذلك اليوم العظيم ولا غيرها لإيذاءهم سبيلا، وكيف تؤذي الشمس المسخرة الذليلة بأمر الواحد القهار قوماً أدخلهم الله في جواره فهم يتنعمون بظل عرشه الكريم يوم لا ظل إلى ظله، فيومئذ يكون هؤلاء في شأن والناس في شأن آخر، تماماً كما كان حالهم في الحياة الدنيا، فوالله إن هؤلاء اليوم لفي شأن وسائر البشرية في شأن آخر، وذكر من أنواع أولئك الذين سيؤيهم الله إلى ظل عرشه سبعاً، وكان ثاني هؤلاء ذكراً ((**شاب نشأ في عبادة الله**)).

وأما أبو عبدالله فهو شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، شاب لم يمنعه صغر سنه أن يحمل على عاتقه أثقل الهموم، كيف لا والهم هو هم الأمة بأكملها، وأبى قلبه الصغير في حجمه إلا أن ينشغل ويهتم ويكبر بأشرف الهموم، هم لا إله إلا الله.

فإنه لم يرض إلا بمقارعة أعتى قوة عسكرية على وجه الأرض، فأمريكا المهولة في أعين صغار الأعين، المخوفة في قلوب صغار القلوب، وإن كبر سنهم وعلت مناصبهم فهم والله صغار، لأن عيناً كعين إبي عبدالله لم تر فرعون العصر أمريكا إلا ذبابة أو بعوضة وربما كانت في عينه أصغر من ذلك بكثير، فالحمد لله الذي لم يعقم أرحام الأمة من أن تلد أمثال معاذ ومعوذ ابني عفراء اللذين لم يرضيا يوم بدر إلا بقطف أكبر رأس من رؤوس قريش، فرعون هذه الأمة أبي جهل - لعنه الله -، وهما يومئذ غلامان حديثا السن كما وصفهما عبد

الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو يروي قصته معهما يوم بدر فقال: (إني لفي الصف يوم بدر إذ التفتُّ فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي وما تصنع به، قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه، فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله، قال: فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء). البخاري، فوا عجباه من مرجئة العصر، يهود القبلة، صغار المواقف بل معدوميها من منتسبي العلم، الذين هم في شأن مغاير لشأن إخواننا حينما يصفون المجاهدين الموحدين من أمثال الجبل أبي عبدالله بحدثاء السن انتقاصاً لهم، وازدراءً بهم، وتنفيراً لشباب الأمة عنهم، ووالله الذي لا إله إلا هو إن الواحد من حدثاء السن مثل أبي عبدالله لهو خيرٌ وأحب إلى الله من ملء الأرض من أمثال أولئك الخونة، فليس أبو عبدالله وإخوانه إلا:

قوم على حب الإله ترعرعوا ... وعلى حطام الدار هم يتكبروا
يوم الرحيل تراهم في دهشة ... كل على طاعاته يتدثرُ
يبكي مصلاّهم على دمعاتهم ... في كل حين هم به يستغفروا
وبكت مواطن خوفهم ورجائهم ... يوم اللظى في روحهم تتسعرُ
ذكراهمُ في أسطر تحيي لنا ... جيلا به أملا عظيما ينظرُ
سلفٌ عظيمٌ في المحامد ورثوا ... طه الكريم وبالعبادة أخبروا
رباه فاجمعنا بهم في جنة ... وأنر بذكراهم طريقا يعبرُ

وأما منتقصيهم فهم الذين لم تحمل قلوبهم هماً إلا هم بطونهم وفروجهم، بئس الهم وبئست التجارة، فقلوبهم الصغيرة التي أشربت بحب الدنيا لا تتسع ولا تقوى بطبيعة الحال على حمل هموم الأمة الثقيلة ف **{ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ }** الأحزاب:٤.

وهؤلاء "كبار الأسنان!!!!" هم الذين خذلوا دين الله سبحانه وتعالى، وخذلوا أعراض الأمة ودماءها، متذرعين بقاعدة "درء المفاسد وجلب المصالح" والتي ميزانهم ومكيالهم ومقياسهم فيها دنياهم العفنة، فالمصلحة ما وافقت دنياهم والمفسدة ما خالفتها، وهم الذين خاطبهم الشيخ أبو مصعب رحمه الله تعالى في محاضرته "إلحق بالقافلة" قائلاً:

عن أي فتنة تتكلمون؟ وعن أي مصلحة تتحدثون؟، وهل هناك فتنة يا علماء الأمة أعظم مما نحن فيه؟!.

إن الفتنة الشرك، إن الفتنة ظهور الباطل على الحق، إن الفتنة ضياع حكم الله في الأرض، إن الفتنة أن يحشر الأسود في الأقفاص في كوبا وغيرها.

فها أنتم يبلغ أحدكم ثلاثين سنة أو أربعين سنة أو خمسين سنة أو أكثر، لا يكلف نفسه رباط يوم في سبيل الله، ولا يتجشم عناء سفر كي يُغبّر قدميه في سبيل الله، يفني أحدكم عمره في طلب العلم - زعموا - على أريكته سلماً لأعداء الله لا يُبتلى يوماً في سبيل الله بحبس أو ضرب أو غيره.

ووالله إنه لأحد أمرين: إما أنكم أعز على الله من نبيه صلى الله عليه وسلم الذي أوذي في ذات الله بشتى أنواع الأذى، أو أنكم على غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ومعاذ الله أن تكون الأولى، ومعاذ الله أن تكون الأولى، (فوالله ما جاء أحد بمثل ما جئت به قط إلا أوذي).أهـ.

فأبو عبدالله وإخوانه هم رجالات الأمة في هذا الزمان وأكابرها رغم حداثة سنهم، ورغم أنوف شانئيهم، وهم أحفاد الصحابة، السائرون على دربهم، المتتبعون لخطاهم، الماضون على عهدهم وبيعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قالوا:

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا

فرحم الله أبا عبدالله رحمة واسعة ورفعنا وإياه مكاناً علياً بمنه وكرمه، وجمعنا وإياه بنبيه صلى الله عليه وسلم وبأجدادنا من الصحابة الكرام.

أبو البتار الليبي (رحمه الله).

إن قصة هذا الشاب عجيبة جداً، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على صدقه وإخلاصه، أحسبه ولا أزكيه، فلقد دخل أبو البتار بلاد الرافدين بتنسيق مع جماعة في بغداد غير جماعة تنظيم القاعدة.

وكان قد أراد بقدومه إلى أرض الجهاد نصرة دين الله أولاً ثم اللحاق بشقيقيه ثانياً، اللذين لم يكن يعرف أبو البتار مع أي جماعة مجاهدة كانا، ولما ضاق الخناق على الجماعة التي كان معها في بغداد، قام أمير جماعته بالإتصال بأبي الليث رحمه الله الذي كان وقتها الأمير العسكري في منطقة الغربية، وطلب منه إيواء اثنين من المهاجرين عنده حتى يجعل الله لهم من أمرهم مخرجا، ويعيدوا ترتيب صفوفهم، فاستجاب أبو الليث رحمه الله تعالى لذلك على الفور وأتى بهما إلى مدينة العبيدي وأنزلهما في مضافة القادمين الجدد عند أبي فتحي الأنصاري رحمه الله وكان ذانك الأخوان هما أبو البتار الليبي وعبد الرحمن الليبي.

ولما أخبر أبو البتار الإخوة بقصته وقصة شقيقيه، وأخذ يصفهما لأبي فتحي، أخبره بأن تلك الأوصاف تنطبق على أمير مجموعة الدوشكا في القائم، وبعد يوم أو يومين أحضر الإخوة أمير الدوشكا إلى المضافة علّه يكون الشقيق المنشود، وما إن رأى أحدهما الآخر حتى انهمرت دموع فرحة اللقاء، ولقد ترك ذلك المشهد أثراً عجيباً في نفوس الإخوة اللذين شهدوه، وأما شقيقه الثاني الذي كان أيضاً من مجاهدي التنظيم فقد بلغنا أنه قتل قبل بضعة أشهر من قدوم أبي البتار إلينا.

ولما جاء أبو الليث ليخبر أبا البتار وعبدالرحمن بأن ساعة عودتهما إلى جماعتهما في بغداد قد اقتربت، قال أبو البتار لأبي الليث أنه لا يريد العودة إلى تلك الجماعة وأنه

يريد مبايعة الشيخ أبي مصعب، فأخبره أبو الليث أن التنظيم قد أوقف البيعة إلى أجل غير مسمى، وأنه يجب عليه وعلى عبدالرحمن العودة إلى بغداد عندما يحين الوقت، ثم تركهم وراح، ولما زرتهم في المضافة أخبرني أبو البتار بما دار بينه وبين أبي الليث، ثم أقسم لي أنه لن يفارق التنظيم مهما حصل، ولن تكون في عنقه بيعة لأي جماعة سوى جماعة التنظيم، ولم يدر أن الله قد بر بقسمه، وأنه سيلقى الله سبحانه وتعالى بعد بضعة أيام وهو منضوٍ تحت لواء التنظيم يصطف جنباً إلى جنب مع جنوده ورجالاته، فلقد أصيب برصاصة قناص في رأسه لتبلغه مبتغاه، وتحقق له ما تمناه، فرحم الله أبا البتار رحمة واسعه، وأسكنه فسيح جناته، آمين آمين.

أبو عايد (رحمه الله).

لم يمض على دخول أبي عايد رحمه الله تعالى بلاد الرافدين إلا أسبوع أو عشرة أيام قبل أن تشب نيران معركة القائم، وكان أبو عايد من أهل الجزيرة العربية، ولما دخل العراق أتى به الإخوة إلى مضافة أبي فتحي.

وبعد ما جلس أبو فتحي معه للتعرف عليه، كعادته مع كل من ينزل عنده، عرف أن أبا عايد من طلبة العلم الشرعي، فجاءني وأخبرني بذلك، فقال: لقد وصل إلى المضافة طالب علم من الجزيرة العربية، فحبذا لو تأتي إلى المضافة لتتعرف عليه، ثم تضع له برنامجاً لتدريس الإخوة في المضافة، فقلت له أنني سأفعل ذلك إن شاء الله تعالى، ولكنني تأخرت عن الذهاب لبضعة أيام لانشغالنا بقتال كتائب الخسة، ولما قدر الله لي اللقاء به، وكان ذلك قبل المعركة بيومين تقريباً، تفاجأت عندها بغزارة علمه وعلو همته، فإنه كان قد باشر بوضع برنامج لتدريس الإخوة منذ اليوم الثاني من وصوله إلى المضافة.

وهذا هو دأب أصحاب الهمم العالية، فهم لا ينتظرون من أحد أن يطلب منهم خدمة دين الله سبحانه وتعالى، والعمل لرفع رايته، والتسابق والتنافس في بذل ما عندهم من علم أو مال أو قوة جسدية وخبرة عسكرية من أجل قيام دولة الخلافة على منهاج النبوة، فإن دولة الخلافة لا تقوم بسواعد أصحاب الهمم الساقطة، ولن يقيمها أصحاب الدعة والراحة، الذين لم تعرف قلوبهم إلا فنون التمني والأحلام، ولو أنها تقوم بغير همم الجبال وبذل الغالي والنفيس لأقامها الله جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم، الذي شج وجهه بأبي هو وأمي وولدي وأهلي ومالي ومن في الأرض جميعاً، وكسرت رباعيته، وحطمت البيضة على رأسه، كل ذلك يجده وهو في ساحات الوغى، فلم يحمله علمه على القعود عن الجهاد وعلى الدعة والراحة والتمني على الله الأماني وهو المعلم الأول صلى الله عليه وسلم، ولم تمنعه سيادته الرفيعة من أن يكون في مقدمة الركب وقيادته وهو سيد بني آدم صلى الله عليه وسلم، بل إن علمه وسيادته حملاه على خوض غمار المعارك واقتحام ساحات المعامع بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم حتى إذا حمي الوطيس رأيت أصحابه يلوذون به ويحتمون بصدره، وهو ثابت القدم، رابط الجأش، عالي الهمة، حادياً في وجه الأعداء قائلاً: ((**أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**))، فهكذا هم أصحاب الهمم العالية وهكذا كان أبو عايد رحمه الله تعالى.

وأما عن علمه، فلقد اطلعت على بعض كتبه بعد مقتله، وخاصة كتاب المغني لابن قدامة المقدسي فوجدت بعض تعليقاته على الأحاديث الواردة فيه مما يدل على سعة حفظه

واطلاعه، وعلى ما أذكر أن أحد الإخوة أخبرني بأن أبا عايد كان يحفظ الكتب الستة والله تعالى أعلم.

أما قصة مقتله رحمه الله فهي كالآتي:

لما انتهت المعركة في مدينة العبيدي، انحاز أبو عايد مع مجموعة من إخوانه إلى مدينة الكرابلة، وكان انحيازهم متزامن مع دخول الجيش الصليبي للمدينة، فما أن وصلت السيارة التي كانت تقلهم أطراف المدينة حتى بدأ عباد الصليب برميهم، فأوقف الإخوة عندها سيارتهم إلى جانب بيت من البيوت ثم نزلوا منها قاصدين ذلك البيت، ولكن أمر الله سبحانه وتعالى وقدره كان أسرع من خطوات أبي عايد، فما هي إلا رصاصة قناص متربص غادر، تخترق رأسه الطاهر، فيقضي بها نحبه، ويتم اختيار الله سبحانه وتعالى له من بين إخوانه، نحسبه كذل والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً، وأسأله سبحانه أن يتقبل أبا عايد في زمرة الشهداء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أبو عبد الله التونسي (رحمه الله).

لولا خشيتي من أن يمل القارىء الكريم لاسترسلت في كتابة ذكرياتي مع هذا الأخ البطل المجاهد، ولكنني سأقتصر على ذكر ما تتم الفائدة به إن شاء الله تعالى.

لقد جمعني الله سبحانه وتعالى بأبي عبدالله في أول مجموعة التحقت بها في بلاد الرافدين بعد خروجنا من المضافة التي كنا فيها مع أبي الوليد القحطاني رحمه الله بعد تنفيذه عملية الجمرك - عملية أبي محمد اللبناني رحمه الله -، وكان أبو عبدالله من الإخوة الذين قاتلوا في معارك الفلوجة الثانية، مما أكسبه خبرة قتالية لا بأس بها، وخاصة في مجال الهاون والقنص، ولكنني لما رأيت حذره وتحذيره الشديدين من الطائرات، وسكونه الملفت للإنتباه - الذي كنت أظنه خوفاً، غفر الله لي وله - عندما يسمع صوت الطائرات وهي تحلق فوقنا، وكنا في ذلك الوقت قد أوينا إلى كبد الصحراء بعدما ضاقت بنا الأرض بما رحبت ولم يكن عندنا خيار إلا افتراش الأرض والتحاف السماء في قفار الصحراء الواسعة.

ولا تظن يا أخي أن ذلك كان صعباً على نفوسنا، لا والله، فلقد كنا في جوار رب السماوات والأرض الذي لا يذل من دخل في جواره، نرتع في رحمته، نتلذذ بمقامنا الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لنا للقيام فيه، وكما قيل: (إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر الحق فيما أقامك)، ووالله ما كان يؤلمنا ويدمي قلوبنا سوى تفريط الأمة في تلك اللذة وزهدها في ذلك المقام وخذلانها لدين الله وأعراضها، فالله المستعان.

فلما كنت أرى ذلك الحذر الشديد منه، لم أكن أتوقع أنه في يوم من الأيام سيثبت في قتال أعداء الله، فضلاً عن أن يثبت في موقف كالموقف المشرف الذي وقفه في معركة القائم والذي قتل فيه رحمه الله، فبعد أسبوع من القتال العنيف والقصف العشوائي المتواصل لمدينة الكرابلة، والذي دمر في أول ثلاثة أيام من المعركة أكثر من مئة وثمانين بيتاً من بيوت المسلمين المدنيين، اجتمع أبو جعفر المقدسي بأمراء المجاميع

وأخبرهم بأن المجاهدين مخيرون بين خيارين لا ثالث لهما، فإما أن ينسحبوا من المدينة وينحازوا إلى مكان آخر ثم يرجعوا إليها بعد دخول الجيش الصليبي إلى المدينة والذي يتوقف به بطبيعة الحال قصف الطائرات، وإما أن يبقوا في المدينة ويقعدوا لعباد الصليب كل مرصد، فاختار بعض الإخوة الانسحاب، واختار البعض الآخر البقاء.

وكان أبو عبدالله أحد الإخوة الذين اختاروا البقاء، ثم أخذ موقعه على سطح بيت من بيوت الصف الأول للمدينة، وجلس يتربص بفريسته من عباد الصليب، ولما بدأوا بالدخول

أخذ البطل يرميهم برصاصه الذي قلما كان يخطيء رؤوسهم، وكلما اكتشفوا موقعه انسحب إلى موقع آخر، واستمر رحمه الله تعالى على ذلك الحال، حتى تمكن عباد الصليب - لعنهم الله وتبت أيديهم - من نصب كمين له استطاعوا من خلاله قتل أبي عبدالله، ولقد عرفنا مقدار ما أوقعه أبو عبدالله من خسائر في صفوف عباد الصليب من خلال ما أظهروه من حقدهم عليه بعدما قتلوه إذ أنهم قاموا بالتمثيل بجسده الطاهر حتى بلغ بهم حقدهم عليه أن طرحوه أرضاً ثم جاءوا بدبابة وجعلوا يمشون بها على جسده ذهاباً وإياباً، مراراً وتكراراً حتى تقطع جسده وسوي بالأرض، وما علم أعداء الله الأغبياء أن الله قد أبدله جسداً غير جسده حال خروج روحه الزكية منه، وقبل ان تمس أيديهم النجسة جسده الطاهر، أحسبه ولا أزكيه، وأنه لا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها، فرحمك الله رحمة واسعة، وجزاك الله عن الأمة خير الجزاء.

أبو نصر السوداني (رحمه الله).

أبو نصر السوداني هو تاسع شهداء معركة القائم، وثالث شهداء معركة الكرابلة.

لقد التقيت بأبي النصر في الليلة التي اجتمع الإخوة فيها في مضافتنا لوداع أبي الوليد وصاحبيه رحمهم الله، ولم يتم بيننا تلك الليلة سوى التصافح وتبادل بعض كلمات الترحيب، ولكن الذي لفت انتباهي وانتباه بعض الإخوة في المضافة، هو هيئته رحمه الله عندما دخل علينا والتي توحي بشدة بأسه، وقوة عزمه، إذ كان أبو النصر طويل القامة، آدم البشرة، يحمل على كتفه سلاح البيكا الثقيل - والذي تبين فيما بعد أنه سلاحه الشخصي، أي أنه اشترى ذلك السلاح بخالص ماله -، يلف على أكتافه ووسطه شريط الذخيرة، مما يجعل الذي يراه يظن أنه قد خرج لتوه من معركة حامية الوطيس.

ولقد شرفني الله بلقائه مرة أخرى، عندما التحق بمجموعتنا ليلة انحيازنا إلى الصحراء بعد عملية أبي الشهيد رحمه الله، وإنني لأتذكره وكأنني أراه الآن وأنا أكتب هذه السطور، وهو يمشي أمامي ونحن ذاهبون إلى الصحراء مشياً على الأقدام، يحمل البيكا على كتفيه بشكل أفقي، وهو يتقدمنا جميعاً في المسير لطول خطواته رحمه الله، ولم يتكلم في تلك الليلة كثيراً بل إن كل الإخوة الذين كانوا معنا لم يتكلموا كثيراً لشدة تعبهم ولم نسمع صوت أحد إلا صوت أبي عبدالله التونسي رحمه الله وهو يحذرنا بين الفينة والأخرى من الطيران كعادته.

وفي صباح اليوم التالي جاء أحد الإخوة ليأخذ أبا النصر ويعيده إلى مجموعته التي كان فيها، فلم ألقه أو أسمع عنه شيء بعدها حتى وقعت معركة القائم، وجاء بعدها خبر مقتله رحمه الله، ومع شدة حزننا على فقد إخواننا، إلا أننا غبطناهم لمواقفهم المشرفة التي ختم الله بها أعمالهم، نحسبهم كذلك والله حسيبهم.

ومن تلك المواقف، موقف أخينا أبي النصر لما بلغه تخيير أبي جعفر للمجاهدين بين الإنسحاب وبين البقاء في مدينة الكرابلة، إذ قال: "الله أكبر أأنسحب وقد فتح الله اليوم أبواب الجنة، لا والله لن أنسحب فتغلق تلك الأبواب دوني".

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، فما أشبه اليوم بالأمس وما أشبه المجاهدين اليوم بأجدادهم المجاهدين الأول من المهاجرين والأنصار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت

المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد

وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء "يعني أصحابه" وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء "يعني المشركين" ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه **وفي أشباهه: { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ }** الأحزاب:٢٣). البخاري:٢٨٠٥.

فلم يخطر ببالي حينما أخبرني الإخوة بكلامه ذاك إلا الصحابي الجليل أنس بن النضر رضي الله وهو يقول: " الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد ".

ولما دخل راجلة الصليبيين إلى المدينة، لم يزل أبو النصر يصليهم بنيران بيكته حتى قتل رحمه الله تعالى هو الآخر بكمين نصبه عباد الصليب له، ولقد فعل به أعداء الله ما فعلوه بأخيه أبي عبدالله التونسي من تمثيل في جسده لشدة غيظ قلوبهم عليه.

فرحم الله أبا النصر رحمة واسعة، وألحقنا وإياه بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

* * *

وبهذا يتبين لك أخي القارىء أن نصر الله سبحانه وتعالى كان حليف المجاهدين في هذه المعركة بشقيه المادي والمعنوي، أما النصر المادي فلقد ذكرنا آنفا بعضا من صوره، ووالله لو لم يكن من ذلك كله إلا قتل الجنرال الصليبي الذي قال: "سنهزمهم ولو كان محمد و رب محمد معهم"، لكفى به نصراً.

وأما النصر المعنوي الذي ربما أثلج صدور المجاهدين وأفرح قلوبهم أضعاف ما أفرحهم النصر المادي، ولكنني لا أظن أنك ستجد من يصف لك هذا النصر في المواقع الإخبارية أو التقارير العسكرية، لأنه دفين قلوب المجاهدين الذين شاركوا في تلك المعركة، مما جعل تداوله يدور على أضيق نطاق.

ومن صور هذا النصر المعنوي الذي كان له أثر عظيم في لحمة المجاهدين مع عوام المسلمين من سكان المنطقة بعد المعركة:

أولاً:

عندما تقدمنا إلى الصفوف الأولى من المدينة في الساعات الأولى من يوم المعركة، لم نكد نمر من أمام بيت هناك إلا وقد أخرج لنا أصحابه صفيحة عليها طعام الإفطار أو ما يسميه إخواننا العراقيون ب "الريوق" وبجانبه دلة شاي، ثم يقسمون على المجاهدين إلا أكلوا من طعامهم ولو شيئاً يسيرا، وكان بعضهم يقف مع أبنائه الصغار أمام بيته، فإذا مررنا بهم قال الوالد لأبنائه: "أنظروا يا أولاد، هؤلاء هم المجاهدون هؤلاء هم شرف الأمة".

ثانياً:

لما ذهب بعض الإخوة إلى مستشفى العبيدي ليتفقدوا أحوال الناس، إذا برجل يحمل ابنته ذات الست سنوات على يديه والتي قتلها أعداء الله، فلما رأى الإخوة قال لهم: " إنني أفتخر أن أقدم اليوم ابنتي هذه فداءً للمجاهدين"، فلم يكن من الإخوة عند سماعهم ذلك إلا أن ردوا عليه بدموع التقدير.

ثالثاً:

بعد انتهاء الساعات الأولى من المعركة وبعد أن أخذ الإخوة مواقعهم داخل المدينة، بدأت المروحيات تدخل أجواء المدينة كما أسلفنا، وفي خلال تنقل الإخوة من مكان إلى مكان، وعند دخولهم إحدى ساحات بيوت المدينة، إذا بست نساء من عوام سكان المدينة، ليس لهن أي صلة بالمجاهدين، قد قسمن أنفسهن إلى مجموعتين: مجموعة منهن تقوم برصد حركة الطائرات، والمجموعة الآخرى تقوم برميها، وكان ذلك من آثار الكلمة التي عقب بها الأخ على خطيب المسجد كما مر معنا قبل قليل.

رابعاً:

إن من أعجب القصص التي فرح لسماعها المجاهدون في معركة القائم هي تلك القصة التي دارت أحداثها مع أخينا الذي دخل إلى المسجد وتكلم فيه بعد معركة كتائب الخسة، فلما انسحب الإخوة إلى الصفوف الخلفية من المدينة، وفرق بين البعض منهم رصاص القناصة، وقصف الطائرات، كان من بين أولئك الإخوة الذين بقوا وحدهم أخونا ذاك.

فلقد أخبرنا أنه كان مع مجموعة أبي مزلزل رحمه الله، وأنه لما انسحب الإخوة توجهت تلك المجموعة إلى سوق المدينة، ولما وصلوا إليه مكثوا فيه قليلاً ثم قرروا متابعة المسير واللجوء

إلى مكان آخر، لأن منطقة السوق مكشوفة ومفتوحة وبالتالي فإن المجاهدين سيكونون هدفاً سهلاً لرصاص القناصة.

وفي الوقت الذي كان فيه الإخوة يتشاورون في أمرهم، كان القناصة قد اتخذوا مواقعهم داخل المدينة، فما أن بدأ الإخوة بالتحرك حتى أمطرهم القناصة برصاصهم مما أدى إلى تفرقهم، وبقي ذلك الأخ في السوق وحده، لأن خطة الإنحياز التي اتفق عليها الإخوة هي أن يكون أبو مزلزل أول المنحازين ويقوم هذا الأخ بالتغطية عليه حتى يصل إلى المكان المقصود ثم يتبعه الإخوة واحداً واحداً بتغطية من جهة أبي مزلزل التي هي نقطة النهاية ومن جهة هذا الأخ التي هي نقطة البداية، ولكن كثافة رمي القناصة الصليبيين تسببت في إرباك الإخوة مما جعلهم ينطلقون كلهم مرة واحدة، واضطر هذا الأخ للبقاء مكانه للتغطية على إخوانه لإشغال القناصة الصليبيين عنهم، وفي أثناء تغطيته على الإخوة تعطل سلاحه، ولما توارى الإخوة عن أنظاره أخذ ينادي على أبي مزلزل ليقوم بالتغطية عليه كما هو مخطط، ولكن أبا مزلزل لم يستجب لندائه ربما لبعد المكان الذي انحاز الإخوة إليه والله أعلم.

ومكث في السوق في مخزن لم يكتمل بناؤه بعد ما يقارب النصف ساعة ينتظر قدر الله سبحانه وتعالى، وفجأة رأى رجلان يتكلمان مع رجل آخر أمام بيت من البيوت التي كانت قريبة من السوق، وكأنهم يريدون منه أن يأويهم، فنادى عليهم أخونا واستأذن ليذهب إليهم فوافق صاحب البيت، وكان الرجلان الآخران من جماعة عصائب العراق، ولما دخلوا إلى البيت وجدوه مليئاً بالنساء والأطفال، فقال لهم الرجل الذي أذن لهم بدخول البيت: "إن هذا البيت بيت قرابة لي، وإن بيتنا هو أول بيت من جهة الشارع العام ويجب أن تذهبوا إليه لأن الأمريكان سيبدأون بتفتيش البيوت قريباً"، وكان بينهم وبين ذلك البيت أكثر من ثمانية بيوت.

فبدأ الثلاثة بالقفز على أسوار البيوت حتى وصلوا إلى بيت الرجل، ولكنهم وجدوا أن البيت لا يصلح للمأوى إذ أنه أول بيت من بيوت الحي من جهة الشارع مما يجعله أول بيت عرضة للتفتيش، فاتفقوا عندها أن يخرج أحدهم ليبحث عن مأوى آخر، وانتدب أحد الرجلين الأنصاريين أن يقوم هو بذلك وكان أكبرهما سناً.

ولما خرج من البيت وبدأ يقطع الشارع العام ليصل إلى الجهة المقابلة، وكان الشارع العام عريضاً جداً مما تسبب بكشف القناصة له، فقاموا بفتح نيرانهم عليه، ولكنه استمر في الركض حتى وصل إلى مأمنه من الجانب الآخر للشارع ولم يصب بأي أذى، ولبث الإثنان الآخران في البيت حتى غربت الشمس وعندها قال الأخ من العصائب لأخينا: "يجب أن أذهب لأبحث عن مأوى، فانتظرني هنا حتى أرجع إليك".

ثم خرج الرجل وبقي أخونا ينتظره حتى صارت الساعة التاسعة ليلاً، وإذا بجرس الهاتف يرن، فلم يرفع الأخ سماعته حتى سكت، ثم عاود الكرة مرة أخرى، وأخرى، حتى تكرر ذلك أربع أو خمس مرات، وفي آخر مرة رفع الأخ سماعة الهاتف، وإذا بالمتصل هو نفس الرجل الذي أرسلهم إلى ذلك البيت.

وبعد أن اطمئن ذلك الرجل على أخينا قال له سائلاً: "أتعرف من أنا؟"، فقال له الأخ:"أنت صاحب المنزل!"، قال الرجل: "ليس عن هذا أسألك، إنما أسألك عما إذا كنت تعرف قصتي معكم - أي مع التنظيم -"، فقال له الأخ: "لا"، فقال الرجل: " لقد أسرتموني قبل يومين لاشتباهكم بانتمائي لكتائب الخسة"، فسكت الأخ مندهشاً لما قد سمعه ولم ينطق ببنت شفة، ثم قال له الرجل - وكأنه قد أحس بدهشته -: "لا عليك، فلقد انتهى الموضوع وثبتت براءتي من تلك التهمة بفضل الله سبحانه وتعالى"، ثم أنهى مكالمته بالإعتذار عن عدم مقدرته على المجيء عند الأخ لحاجة النساء والأطفال في المنزل الأول إليه، ثم أخذت الشكوك تساور أخانا بأن ذلك الرجل سيسلمه إلى الأمريكان، وبعد نصف ساعة تقريباً، سمع أخونا أحدهم يطرق الباب الداخلي للمنزل ويقول بصوت خافت: "إفتح الباب يا أخي، أنا ابن صاحبة البيت"، ففتح له الأخ الباب وإذا بشاب يحمل في يده بعض الطعام، ثم جلس وقال: "لقد أحضرت لك هذا الطعام، فلا بد أن تكون قد جعت الآن"، فقال له الأخ: "الله أكبر لقد خاطرت بنفسك من أجل أن تأتيني ببعض الطعام"، فقال له ذلك الشاب: "إن أمي قد أعدت لك هذا الطعام لكي تأكله، ولقد أصرت أن آتيك به، وإنها تعتذر إليك لقلة الطعام في هذا البيت"، فلم يستطع أخونا عند سماع ذلك أن يمنع عينيه من أن تذرف بعض العبرات، وقال له: "دعك من الطعام الآن وأخبرني عن قصة أخيك محمد مع التنظيم"، فقال الشاب: "لقد اعتقلنا عناصر التنظيم لظنهم أننا ننتمي إلى كتائب الخسة، أما أنا فلم ألبث عندهم إلا ساعة أو أقل لأنني لم أكن في يوم من الأيام مع كتائب الخسة، وأما أخي محمد فلقد لبث عندهم لمدة يومين، لأنه كان قد انضم إلى صفوف كتائب الخسة لمدة أسبوعين تقريباً، ولكنه تركهم لما رأى ما هم عليه من كفر ومعاصي، إذ أن القوم لم يكونوا يقيمون الصلاة ألبتة، ناهيك عن شرب البعض من أفرادهم للدخان، وشرب قادتهم للخمر - قاتلهم الله -، ثم لما تحقق الإخوة من صدقه، فكوا وثاقه وأطلقوا سراحه".

ثم قام ذلك الشاب وانطلق راجعاً إلى أهله، فازدادت الهواجس تقتحم خاطر أخينا، وما هي إلا دقائق حتى غشيه النعاس ثم صرعه النوم ولم يستيقظ حتى آذان الفجر، وكان الهدوء يعم الأجواء، فقام الأخ وتوضأ ثم صلى الصبح وجلس مكانه حتى أشرقت الشمس، ثم جاء محمد إلى البيت وفي صحبته أخوه والرجل الأخير الذي كان مع الأخ في البيت ثم

خرج يلتمس مكانا آمنا، وكان في صحبته كذلك مجموعة من النساء منهن أمه وأخته وخالته وزوجته وزوجة أخيه وزوجة ذلك الأخ من العصائب والذي تبين يومها أنه ابن خالة محمد، وبعد أن اطمأن محمد على أخينا قال له: "يجب أن نخرجك من المدينة لأن الصليبيين يفتشون عن المجاهدين في كل مكان، وإذا جاءوا إلى هنا فإنهم سيعرفون أنك لست عراقياً من خلال لهجتك البعيدة جداً عن لهجة العراقيين، وخاصة إذا كان بصحبتهم كلب من كلابهم المترجمين.

ولقد بلغنا أن جميع المجاهدين قد خرجوا من المدينة"، ثم أشار إلى إحدى الأخوات اللاتي كن معه والتي كان الحمل واضحاً عليها، وقال: "سنخرج الآن بشكل جماعي وإذا أوقفنا الأمريكان وسألوك فقل لهم أن هذه زوجتك، وسأخبرهم أنا بأنها حامل وهي تشعر بألم في بطنها من شدة الخوف وتريد أن توصلها إلى المستشفى"، ثم أعطاه طفلاً صغيراً ليحمله على يديه ليوهمهم بأنه ابنه، فلم يزالوا يمشون معه حتى بلّغوه مأمنه، وألحقوه بإخوانه المجاهدين.

وبمثل مواقف سكان المدينة هذه، التي ربما لو لم يعاينها المجاهدون بأنفسهم، لظنوا أنها لا تتجاوز أن تكون روايات من روايات التأريخ الغابر، يتبين كذب ودجل عباد الصليب بأن سكان القائم قد استقبلوهم بحفاوة لم يعهدوها من قبل، وغير ذلك من أماني وتراهات، ولكن ليس الخبر كالمعاينة.

أبو عثمان الفلوجي (رحمه الله).

كان أبو عثمان رحمه الله إمام وخطيب أحد مساجد مدينة العبيدي الصناعية، وكان أحد أعضاء لجنة الخطباء التي أسستها اللجنة الشرعية لتنظيم القاعدة في المدينة، وكان رحمه الله تعالى أحد أكثر الذين قابلتهم من إخواننا الأنصار شجاعة، والتي لم تكن بداية ظهورها بمحاربته للصليبيين بعد احتلالهم للعراق، بل إن الناس قد عهدوا شجاعته ورباطة جأشه وصدعه بالحق دون أن يخاف في الله لومة لائم، مذ أن تم توظيفه في شركة الفوسفات في عهد الحكم البعثي الشيوعي.

فلقد أخبرني بعض الإخوة الذين كانوا يعملون معه في الشركة، أن النظام البعثي الكافر كان يحارب كل مظاهر الإلتزام بالدين، كالتزام صلاة الجماعة، وطلب العلم الشرعي، وإعفاء اللحية، وتقصير الثوب... وغيرها من الواجبات والمندوبات الشرعية.

وكانت شركة الفوسفات إحدى المؤسسات التابعة لذلك النظام الطاغوتي، وكانت تأتمر بأمره وتنته بنواهيه، إذ كانت إدارة الشركة تأمر الملتحي بحلق لحيته، وتمنع الموظفين من دخول المصنع بلباس السنة، ولكن أبا عثمان كان يضرب بتلك التعليمات عرض الحائط ويقول لهم: "إن الله سبحانه وتعالى قد أمرني بإعفاء لحيتي، وأمرني كذلك بالإقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم، أفأطيعكم بمعصية ربي جل وعلا في سبيل عرض من أعراض الدنيا، لا والله ما أنا بفاعل ذلك ما حييت"، ولقد أخبرني الإخوة كذلك بأن إدارة الشركة قد ضيقت عليه كثيراً بسبب موقفه ذاك مما دفعه إلى ترك الوظيفة.

وكان أبو محمد من الزاهدين في الدنيا، لا يلتفت إلى زخرفها الكاذب، ولا إلى زينتها الزائلة، فلقد دخلت بيته المتواضع جداً والذي لم يكن في غرفة المضافة منه، سوى فرشتين صغيرتين قديمتين، وربما جلس أحدنا على الأرض إذا زاد عددنا عن الأربعة. وكان رحمه الله تعالى يحمل همّ هذا الدين وخاصة تعليم الناس معنى كلمة التوحيد، وبيان شروطها، وشرح نواقضها، وكانت تلك المهمة من الصعوبة بمكان، إذ أن أعداء الله من أهل الإرجاء والتجهم كانوا يبثون سموم ضلالاتهم في أهل المدينة، وكان وصولهم واختلاطهم بالناس أيسر بكثير من إخواننا، وخاصة أنهم في أمان من الأمريكان ومأمن من عيون إخوانهم من العملاء المنافقين، على خلاف حال إخواننا الموحدين الذين يتربص بهم النافقون والعملاء الدوائر - عليهم دائرة السوء -.

قصة مقتله رحمه الله:

في ضحى أحد أيام الجمعة، قرر بعض الإخوة من مجموعة المدفعية قصف القاعدة الأمريكية في صحراء منطقة القائم، فذهب اثنان منهم في سيارة شحن صغيرة إلى مخازن الذخيرة، وأحضروا ثلاثة أكياس كبيرة من قنابل الهاون من عيار ٦٠ملم و٨٢ملم، وبينما هم في طريق العودة إلى الإخوة جاءت مروحيتان وأخذتا تحلقان فوق المدينة، وقامتا بتتبع السيارة التي تحمل القنابل في حوضها، ولما وصل الإخوة إلى مكان انتظار الآخرين انكشف أحد المدافع، فقامت الطائرتان بإطلاق الصواريخ على السيارة، ولكن الله سبحانه وتعالى صرفها عن الإخوة وعن السيارة، فسقطت كلها بجانب السيارة مما أدى إلى نشوب دخان كثيف من حولها، فظن الصليبيون عندها أن السيارة قد انفجرت، ولما خرج أحد الإخوة من السيارة، قام الأسد الثاني بقيادة السيارة ليأخذها بعيداً عن بيوت الحي المأهولة، ولما لاحظ الطياران تحرك السيارة عادا لقصفها من جديد حتى تمكن ذلك الأسد من مواراتها تحت مظلة أحد البيوت المهجورة في آخر الحي، ثم خرج منها سريعاً وتسلل إلى بيت قريب، وكانت هناك سيارة أخرى صغيرة تحت المظلة، وما هي إلا لحظات حتى سقط أحد الصواريخ على المظلة فأصاب السيارة الصغيرة مما أدى إلى انفجارها، ولما رأى أعداء الله ألسنة اللهب تتصاعد في السماء انصرفوا وهم يظنون أنهم قد أصابوا سيارة الذخيرة.

وجاء يومها أبو عثمان إلى منطقة القصف، ولما رأى نيران الإنفجار تقترب من سيارة الذخيرة قال للإخوة: " يجب علينا إبعاد السيارة عن النار، لأنها لو بقيت هناك فإنها قد تنفجر في أية لحظة، وستتسبب عندها في قتل الكثير من أهل الحي، وعلى الأقل يجب علينا إخراج الذخيرة من السيارة"، فأخبره الإخوة أنه لا يوجد عندهم سيارة تستطيع حمل تلك الذخيرة الثقيلة مرة واحدة، فقال لهم: "أنا آتيكم بسيارة إن شاء الله تعالى"، ثم انطلق مسرعاً، وماهي إلا بضع دقائق حتى رجع وهو يقود سيارة شحن صغيرة "بك أب" وبعد أن انتهى الإخوة من نقل الذخيرة إلى سيارة أبي عثمان، إنطلق بها رحمه الله ليضعها في مخزن قريب من بيته، ثم يعيدها إلى مخازن الذخيرة بعد أن تنزل درجة حرارتها العالية، وفي أثناء نقله الذخائر إلى داخل المخزن، سقط صاروخ أرض أرض على بعد مترين أو ثلاثة أمتار من أبي عثمان، وطارت إحدى شظايا الصاروخ باتجاه أبي عثمان فقطعت جزءاً كبيراً من رأسه رحمه الله، وكان ذلك قبل صلاة الجمعة بنصف ساعة تقريباً، ولما ذهب به الإخوة ليدفنوه وجدوا في جيبه ورقة قد كتب عليها خطبته لذلك اليوم، وكانت الخطبة تحمل عنوان "معنى كلمة لا إله إلا الله".

وما وجد الإخوة تفسيراً لذلك القصف وكيفية تحديد الصليبيين للسيارة إلا عمالة أحد المنافقين من خلال اتصاله بأوليائه الصليبيين ومن ثم إعطائهم أحداثيات مكان أبي عثمان.

فرحم الله أسد التوحيد أبا عثمان، وجعلنا وإياه من أهل لا إله إلا الله وخاصتها، وشل الله كل يد غادرة ساعدت في قتل أو أذى أحد من إخواننا الموحدين، وأعمى الله كل عين خائنة عميلة ترقب للكفرة تحركات إخواننا المجاهدين وتقعد لهم كل مرصد، فلا نامت أعين الجبناء.

الشيخ أبو حيدره (رحمه الله).

والله لو لم أسطر في هذا الكتاب إلا سيرة هذا الأخ المجاهد لكان ذلك كافياً وافياً شافياً في وصف أخلاق المجاهدين الرفيعة، وإنني لأفتخر كل الفخر بأن الله سبحانه وتعالى قد شرفني بلقاء الشيخ أبي حيدرة، وإنني لو خيرت بين لقائي معه مرة أخرى وبين أن أكون في أهل ومالي، لآثرت لقاءه على الأهل والمال، بل ولآثرت لقائه على كل ما طلعت عليه الشمس من أمور الدنيا.

كان أبو حيدرة من المهاجرين من جزيرة العرب، وكان رحمه الله شديد سواد لون البشرة، ولكنك لو نظرت في وجهه لحسبته قطعة من البدر، لما ترى عيناك من النور الذي في وجهه رحمه الله، وكان من عادته تقبيل رأس إخوانه عندما يلتقي بهم، ولا يستطيع أحدٌ منعه من فعل ذلك لشدة إصراره عليه رحمه الله.

وكان أبو حيدرة أمير اللجنة الإعلامية في الأنبار، ولكن الذي يراه لا يعلم ذلك إلا أن يُخبر به، من شدة تواضعه مع إخوانه ولين جنبه لهم، وكان رحمه الله صاحب سخاء في الإنفاق على إخوانه، وكان أول لقاء بيننا في قرية تسمى المعاضيد، إذ رأى الإخوة الأمراء جمع اللجنة الشرعية واللجنة الإعلامية في الأنبار في مكان آمن حتى تتمكن كلتا اللجنتين من إنجاز بعض ما هو مطلوب منهما إنجازه، وكذلك إنجاز ما لم يقدروا على إنجازه من قبل لكثرة تنقلهم من منطقة إلى أخرى بسبب شدة القتال في ذلك الوقت.

ثم تفرقت المجموعتان بعد بضعة ساعات، حيث ذهب بنا أحد الإخوة إلى مكان آخر في القرية لنستقر فيه، وفي اليوم التالي لحق بنا إخواننا الإعلاميون، ولما دخل أبو حيدرة المضافة أخذ يقبل رؤوس إخوانه واحداً واحداً وكأنه لم ير أحداً منا منذ أشهر حتى وصل إلي، ولكن لقلة معرفتي بعادته تلك أبيت أن يقبل رأسي حتى أقسم علي بالله إلا قبل رأسي، فلم أستطع إلا أن أبر بقسمه رحمه الله، ثم قال لي: "لقد اشتريت لك نعلاً جديدة لأنني لاحظت في لقاءنا السابق أنك تلبس نعلاً لا تناسب قياس قدميك، وكذلك أشتريت لك بعض الملابس، لأنني سمعتك تطلب من الإخوة أن يحضروا لك حقيبة الملابس خاصتك، فخشيت أن يتأخروا عليك في إحضارها وليس عندك ما تبدل به ملابسك التي ترتديها"، فلم أدر ما أقول له من شدة المفاجأة.

ثم مكثنا في ذلك المكان ما شاء الله لنا أن نمكث، وفي أحد الأيام جاءنا خبر بأن الصليبيين قد يأتون إلى القرية لتفتيشها، وكان عدد الإخوة في تلك المضافة يزيد عن العشرين أخ، ويعتبر تجمع الإخوة بهذه الأعداد الكبيرة في مكان واحد من الأخطاء القاتلة في قوانين

حرب العصابات، وخاصة في ظل الظروف الصعبة التي يعيشها إخواننا في بلاد الرافدين، فأشار الأمير إلى خروج إحدى اللجنتين من المضافة لتقليل عدد المجاهدين فيها، ثم اختار الأمير خروج اللجنة الإعلامية لأن عدد إخواننا الإعلاميين يعادل ضعفي عدد الإخوة في اللجنة الشرعية، وبعد خروجهم بعشرة أيام تقريباً جاء أبو حيدرة لزيارتنا في المضافة فسألناه عن أحوال الإخوة الذين كانوا معه، فقال: "لقد جئتكم اليوم من أجل هذا الموضوع، إن حال إخوانكم يرثى له، فهم جالسون الآن في بيت خرب بعيد في جوف الصحراء يلفحهم بردها القارص، يفتقرون إلى ما يتقون به ذلك البرد، ينقصهم الطعام والشراب، وفوق ذلك كله لا يوجد لذلك البيت سقف، فهم مكشوفون للطيران، وهم يعالجون هناك البرد والجوع والعطش والخطر، فهذا هو حال إخوانكم الذي سألتموني عنه باختصار"، ثم ذرفت عيناه وقال: "أنا لا أريد منكم شيئا لنفسي ولا أتكلم عن حالي، فإنه لا يهمني ما إذا بت في الصحراء أم في غيرها، ولكنني أطلب منكم أن تسمحوا لإخوانكم بالرجوع إلى هذه المضافة إلى أن يجعل الله لهم مخرجا، ثم إن عندي لكم سؤالاً، قلنا له اسأل، فقال: "إذا جاء الصليبيون لتفتيش هذه المضافة فما الذي تنوون فعله"، قلنا له سنقاتلهم طبعاً، قال: " فإن إخوانكم يتشوقون لقتال عباد الصليب مثلكم وربما أزيد"، وبعد أن تشاور الإخوة في المضافة قرروا الموافقة على عودة إخوانهم إلى المضافة، ففرح أبو حيدرة بذلك فرحاً شديداً، ثم انطلق ليأتي بإخوانه من الصحراء، وبعد عودتهم إلى المضافة بأسبوعين تقريباً اضطر الإخوة في اللجنة الشرعية وكان عددهم خمسة إلى مغادرة المضافة للقيام ببعض الأعمال التي وكلت إليهم في مناطق مختلفة من الأنبار.

قصة مقتله رحمه الله:

في فجر أحد الأيام - بعد عشرة أيام تقريباً من خروج الشرعيين - جاءت بضعة دوريات مشتركة من قوات المشاة الأمريكية وقوات الجيش الوثني العراقي، وبدأت بتفتيش بيوت القرية والتي لا تتجاوز المئة بيت والله أعلم، حتى وصلوا إلى مضافة الإخوة، وكان الإخوة قد سمعوا بمجيء تلك القوات فوضعوا خطة دفاعية سريعة، وأخذ كل واحد منهم مكانه ينتظر دخول الصليبيين وأعوانهم إلى حديقة المضافة، وكان طول الحديقة الأمامية للمضافة عشرون متراً تقريباً - المسافة بين البوابة الخارجية للمضافة وبين البوابة الداخلية - ولما وصل جنود الشيطان إلى المضافة وفتحوا بوابتها الخارجية لم يتحرك أحد من الإخوة حتى دخل جميع الجنود إلى الحديقة، ولما تأكد الإخوة أنه لن يدخل أكثر من ذلك العدد من الجنود فتحوا عليهم نيرانهم، فمنهم من قذفهم بقنبلة يدوية ومنهم من أمطرهم ببيكته ومنهم من رماهم برصاص رشاشه، فقتلوا منهم تسعة علوج، وفر الباقون خارج البيت، ثم بعد بضعة دقائق حاول الطغاة الإلتفاف حول المضافة ليدخلوها من الخلف، ولكن رصاص

الإخوة كان لهم بالمرصاد، إذ فاجأوهم برمي كثيف فقتلوا منهم عشرة علوج آخرين، ثم فر من تبقى منهم إلى الشارع وتحصنوا في همراتهم، وكعادتهم، فقد استنجد الجبناء بالطائرات، وصعد عدد منهم إلى خزان الماء الذي يخدم القرية وكان الخزان لا يبعد عن المضافة سوى بضعة عشرات من الأمتار، وكان ارتفاعه عالٍ جداً، مما سهل عليهم عملية المراقبة والقنص، وأما المجاهدون فقد قسموا أنفسهم إلى قسمين، قسم منهم بقي داخل المضافة ليتصدوا للصليبيين إذا حاولوا دخول المضافة وكان عددهم ثلاثة، وهم أبو عمر اللبناني وأبو علي المدني وأبو محمد الكندي - للأسف الشديد فإنني لن أكتب عن أبي عمر، لأنني لم أتشرف بلقائه ألبتة فأنا لا أعرف عنه أي شيء، وأما أبو علي وأبو محمد فإنني سأكتب عنهم بعد أبي حيدرة إن شاء الله تعالى -، وقسم انحاز إلى منزل مجاور للمضافة وكان ذلك المنزل قيد الإنشاء فلم يكن سقفه قد بني بعد مما تسبب في تقييد حركة الإخوة فيه، وكان عدد الإخوة الذين انحازوا إلى ذلك البيت تسعة، وكان أبو حيدرة واحداً منهم، وما هي إلا لحظات حتى كشف القناصة الذين كانوا على خزان الماء موقع الإخوة، فبدأوا يطلقون النار عليهم، ولكن الإخوة لم يقفوا مكتوفي الأيدي بل ردوا عليهم بقوة، وخلال الإشتباك أصيب أبو حيدرة برصاصة في كتفه الأيمن، وبعد لحظات توقف إطلاق النار من كلا الطرفين وعلم الإخوة لما هدأ الجو أن أبا حيدرة قد أصيب، فحزن الإخوة لعجزهم عن إسعافه، فالتفت إليهم أبو حيدرة وكان قد أسند ظهره إلى الحائط وقال: "أيها الإخوة والله إننا اليوم في عزة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى"، ثم مد يده اليسرى إلى كتفه الأيمن ومسح بأصابعه على الجرح ثم قَبَّلَ الدم على أصابعه وقال: "الله أكبر، هذه هي العزة يا إخوتي، وهذه هي الكرامة".

الله أكبر، لقد قلت والذي نفسي بيده يا شيخنا كما قال جدك حرام بن ملحان رضي الله عنه من قبل "**فزت ورب الكعبة**"، فعن ثمامة بن عبد الله بن أنس أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: لما طعن حرام بن ملحان وكان خاله يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال: فزت ورب الكعبة" البخاري:٤٠٩٢.

ثم قال للإخوة: "يجب أن تنزلوا إلى الخندق في أسرع وقت لأن توقفهم عن إطلاق النار يدل على استعانتهم بالطيران"، وكان الإخوة قد حفروا خندقاً ليخبئوا فيه كتب اللجنة الشرعية وأجهزة اللجنة الإعلامية، فقال له الإخوة: "إنزل أنت أولاً وسنغطي عليك ثم نتبعك واحداً تلو الآخر"، فقال: "لا والله لن أبرح مكاني حتى تنزلوا جميعكم"، ثم بدأ الإخوة بالنزول إلى الخندق وأبو حيدرة يشغل عباد الصليب بلظى نيرانه، وما أن نزل أخر واحد من الإخوة حتى جاء الطيران الجبان فقصف بيت المضافة وقصف البيت الذي كان فيه أبو حيدرة فتناثرت أشلائه بين حطام القصف، وقضى هناك نحبه شامخ الرأس، عزيز النفس، مقبلاً فَرِحاً غير مدبرٍ جزع:

عجبـــت لهـــم تغطـــيهم دمـــاء ويبتســـــمون في فـــــرح شـــــديد
إذا قتلــــوا فقـــــد نــــالوا الأمــــاني وإن قَتلــــوا فويـــــل للجحـــــود
وأعجـــب مِـــن تشـــوقهم لعـــدن تشـــــــوقهم إلى الله المجيـــــــد
إذا لا قُـــــوه قـــــالوا في رجـــــاء أعـــدنا كـــي نقاتـــل مـــن جديـــد
فنُقتـــل فيـــك مـــرّات لترضـــى فبالرضـــــوان نطمـــــع بالمزيـــــد
هـــو الإســـلام علّمهـــم صـــمودا كـــذاك يكـــون أبطـــال الصـــمود
بنـــو الإســـلام هَبُّـــوا مـــن رقـــادِ وقـــد أفنـــاهم ليـــل الرقـــود
فـــلا تعجـــب لصـــحوهم ولكـــن تعجّـــــب أن يظلُّـــــوا في همـــود
لقـــد نُصِـــروا وقـــالوا المـــوت أولى لأهـــل الحـــق في ظـــل البنـــود
مـــن العـــيش المنكّـــد بالـــدنايا وبـــالكفر الـــدخيل وبـــالجحود
فإمـــا أن نعـــيش بظـــل ديـــن نُعَـــزُّ بـــه وبـــالنهج الرشـــيد
وإمـــا أن نمـــوت ولا نبـــالي فلســـنا نرتضـــي عـــيش العبيـــد

فرحم الله أخي وحبيبي أبا حيدرة، وأسأله سبحانه أن يجمعني به وبإخواني جميعاً في الفردوس الأعلى، فإنه وحده على ذلك قدير، وهو وحده بالإجابة جدير.

أبو علي المدني (رحمه الله).

كان أبو علي رحمه الله تعالى من المجاهدين القدامى الذين شاركوا في معركة الفلوجة الثانية، وبطل من أبطالها الذين لم تكتب لهم الشهادة على أرضها، وكان أحد جنود اللجنة الإعلامية، ولقد شرفني الله بلقائه مرات عديدة لما كنا في مدينة العبيدي، وكان من ضمن تلك اللقاءات، لقاء لا زلت أذكره إلى الآن لأنه ترك أثراً كبيراً في نفسي من جهة حقيقة قدر المجاهدين في سبيل الله.

ففي أحد الأيام جاء أبو فتحي رحمه الله إلى زيارتنا وطلب مني الذهاب معه إلى مضافته للتكلم مع الإخوة عن الصبر تحديداً، لأن بعض الإخوة لم يتم توزيعهم إلى المجاميع المقاتلة بعد، وكأنه لمس فيهم بعض الاستعجال فخشي أن يؤدي بهم استعجالهم إلى بعض السلبيات التي تعود بالضرر على أنفسهم من جهة وعلى من معهم من الإخوة من جهة أخرى، فرأيت أنه لا بد من أن يكون المتكلم معهم رجل جرب الصبر على أمور هي أعظم بكثير مما يشكوه إخواننا، وتذكرت عندها أخي أبا علي إذ أن كل الإخوة الذين خرجوا من الفلوجة يحملون في جعبتهم الكثير الكثير من قصص الصبر والثبات والبطولة والفداء والشجاعة، فذهبت إليه وأخبرته عن حال إخواننا الجدد وطلبت منه أن يأتي معي ليتكلم معهم ويذكرهم بالله ويحثهم على الصبر وما يترتب عليه من أمور طيبة محمودة من خلال سياق تجاربه الشخصية، فوافق رحمه الله تعالى كعادته في قبول بل السعي في أي شيء يستطيع أن يخدم به دين الله سبحانه وتعالى، أو يخدم به إخوانه.

ولما وصلنا إلى المضافة وبعد سلامنا على الإخوة، قلت لهم: "إنني لم آتيكم اليوم متكلماً، بل إنني جئت لأستمع وإياكم لكلام أحد أبطال الفلوجة وما عنده من قصص إخوانكم الذين مرغوا أنف عباد الصليب وأوليائهم بالتراب".

وبعد أن عرفتهم عليه بدأ يتكلم عن بطولات إخوانه في المعارك الآخيرة في الفلوجة حتى وصل إلى آخر أيام المعركة التي حاصرهم الأمريكان فيها وشددوا عليهم فيها الخناق، فقال: "لما انتهت الطائرات من قصفها المكثف والذي استمر لعدة أسابيع وتوغلت دبابات الجيش الصليبي وراجلته وقناصته في أحياء المدينة لجأنا إلى أحد البيوت التي كنا قد حفرنا فيها الخنادق، وكان عددنا ستة ولم يكن معنا سوى ما يقارب الثلاثين رصاصة من رصاص الكلاشنكوف موزعة بيننا، فنزلنا إلى الخندق ووضعنا فوق رؤوسنا صفيحةً من حديد - زينكو، أو شينكو كما يسميه إخواننا العراقيون - وبعد ساعات دخلت مجموعة من القناصة الصليبيين إلى المنزل واتخذوا من سطح البيت مقراً لهم، وبقينا داخل الخندق لمدة ثلاثة

أسابيع، لم يكن باستطاعتنا الجلوس لضيق الخندق طوال تلك المدة إلا جلسة الإحتباء، وكنا أجلَّكم الله نبول ونتغوط في مكاننا، ثم نتيمم ونصلي إيضاً في نفس المكان، حتى قررنا أن نخرج ونقاتل بما معنا من ذخيرة إذ أننا كنا بين خيارين لا ثالث لهما: فإما أن نخرج ونقاتل بما معنا من ذخيرة حتى نقتل، وإما أن نبقى في مكاننا ونموت جوعاً، وسبحان الله ففي فجر اليوم التالي انسحب القناصة من البيت، وفي ضحى ذلك اليوم تقريباً جاء الإخوة إلينا وكان أحدهم قد رآنا ونحن نأوي إلى ذلك البيت، ثم أخرجونا من الفلوجة مع سائر إخواننا الذين لم تكتب لهم الشهادة فيها".

وما إن انتهى من قصته حتى كانت أعين الإخوة تفيض من الدمع لتأثرهم بتلك القصة التي لا أشك أن الإخوة قد تعلموا منها الكثير من دروس الصبر والثبات والتوكل على الله، ولا أستثني نفسي منهم إذ كانت تلك أول مرة أسمع فيها بقصة أخينا أبي علي رحمه الله، ثم بدأ بالنشيد وكان الله قد وهبه صوتاً جميلاً جداً، وكان مما أنشد رحمه الله في ذلك اليوم أنشودة أيها المسلمون، وأنشودة فوق الجنان، ولا زلت أتذكره كلما سمعت أحداً ينشد هاتين الأنشودتين.

وكان رحمه الله أحد الثلاثة الذين بقوا في مضافة المعاضيد كما ذكرنا في قصة أخينا الشيخ أبي حيدرة آنفاً، للتربص بعباد الصليب، فقتل فيه رحمه الله بالقصف فنال أجر شهادتين، شهادة القتل في سبيل الله وشهادة الموت تحت الهدم، أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً، وأسأله سبحانه أن يكون أبو علي الآن كما أنشد فوق الجنان، يتنعم بوصال الحور الحسان، يأمن بجوار العزيز الرحمن، آمين يا رب العالمين.

أبو محمد الكَنَدي (رحمه الله).

لولا ثقل لسان أبي محمد رحمه الله تعالى بتكلم العربية، لما توقع أحد أنه قد ولد وترعرع في بلد غربي مثل كندا، لما كان يتسم به من حسن الخلق وجميل الأدب، واللذان لا يُعرف لهما أي معنى في قاموس الكثير ممن يسكن تلك البلاد، وكان أبو محمد رحمه الله من أصل تونسي إذ هاجر أبواه إلى كندا هروباً من طغيان حكامها المستبد وقمعهم لكل من يروم الإسلام الرباني وينبذ الإسلام الفرنسي!، كما هو معروف عن تلك البلاد، ولكن أبا محمد عاد الكرة في هجرته ولكن ليس إلى دولة غربية هذه المرة، بل إلى دولة قد شق فجر الإسلام طريقه إليها لدحر ظلمها وظلامها، وسطع نور التوحيد في آفاقها ببريق سيف الحق الناصر، ولآليء القرآن الهادي.

وكان رحمه الله تعالى شديد الحب والتوقير والتقدير للعلماء الربانيين في هذا الزمان، وخاصة الشيخ أبو محمد المقدسي حفظه الله تعالى، فإنه لما علم في أحد المرات التي شرفني الله بلقائه فيها أنني قدمت من الأردن سألني عن أخبار الشيخ أبي محمد المقدسي حفظه الله، فأخبرته بأن أخباره طيبة وأحواله جيدة إن شاء الله تعالى، فقال لي: "أخبرني عن الشيخ، وكيف كان طبعه عندما كنتم تجلسون معه، وأخبرني عن حديثه معكم عن قرب"، فقلت له: "ما المسؤول عن ذلك بأعلم من السائل، إذ أنني لم ألتق بالشيخ قط"، وما أن انتهيت من كلامي حتى تفجر في وجهي معاتباً ومأنباً وكأن قنبلة قد انفجرت، فقال: "الله أكبر، تسكن في الأردن ولم تلتق بمجدد الدين لهذا القرن قط، الله أكبر، تسكن في جواره ولا تكلف نفسك يوماً بزيارته ولقائه، والله لو أن الشيخ كان عندنا لما تركناه يمشي على الأرض، فالله المستعان"، فقاطعت استرساله في توبيخه لي وقلت: "يا أخي، إتق الله وارفق بي فإنك تعلم أن الشيخ في السجن منذ سنين، ولعلك تعذرني كما عذرت نفسك عندما تعلم أنني كنت أعيش خارج الأردن في الوقت الذي كان فيه الشيخ خارج السجن"، فسكن عندها غضبه، وهدأت أعصابه، وكأني به وقد قبل عذري.

وإنني لأتساءل أحياناً، فأقول: إذا كانت هذه ردة فعل أبي محمد لما علم أنني لم أر الشيخ قط وأنا أسكن في نفس البلد الذي يسكن فيه الشيخ، فكيف تكون يا ترى ردة فعله لو رأى زهدنا وزهد إخواننا في رؤيته والجلوس معه وقد فك الله أسره، بل ماذا تراه يفعل لو سمع البعض وهم ينتقصوه ويطعنوا فيه على مرآى ومسمع منا ونحن لا يتحرك فينا ساكن ولا نذب عنه ببنت شفة، فإلى الله المعذرة والمشتكى.

هـذا، ولقـد قتـل أبـو محمـد مـع أخيـه أبي علـي وأبي عمـر في القصـف الغاشـم الـذي استهدف مضافة المعاضيد، تاركاً وراءه ما فُتح له من أبواب الدنيا في بلاد الغرب التي يسيل لعاب الكثير من شباب الأمة في هذا الزمان للوصول إليها مهما كلف الثمن، فربح البيع أبا محمد، ربح البيع أبا محمد، وأسأله سبحانه أن يبدلك أهلاً خيراً من أهلك، وبيتاً خيراً من بيتك، وصحبة خيراً من صحبتك، أنه ولي ذلك والقادر عليه.

خـاتمة

فهذه سيرة عشرين رجل من رجالات الأمة الذين ترجلوا برؤوس مرفوعة وجباه شامخة في بلاد الرافدين، قضوا وهم يحملون على عاتقهم هموم الأمة، بذلوا دماءهم وأنفسهم وأموالهم في سبيل رفع راية التوحيد وتنكيس رايات الشرك والتنديد، وهذه هي أخلاقهم التي لا بد من التخلق بها لمن أراد أن يسمو إلى مقاماتهم.

فإن الشهادة لا تنال بالتمني، ولا بالخلق المتدني، وإنما تنال الشهادة بالصدق والإخلاص في الأقوال والأفعال وفي كل حال، فمن هؤلاء من كان صادقاً مع ربه، صادقاً مع نفسه، آخذ بناصية نفسه ليبلغها أسباب رضى ربه، فمنهم من كان باراً بوالديه شفيقاً عليهم، رحيماً بهم، لم يتركهم زهداً فيهم ولا عقوقاً بهم طرفة عين، ولولا أن المنادي كان أحب إليه منهما لما برح موطن أقدامهما لحظة واحدة، ومنهم من كان لين الجنب مع إخوانه، يقيل عثرتهم، يستر عورتهم، يغفر زلتهم، ينفق عليهم نفقة الذي لا يخشى الفقر، لا يمن عليهم درهماً أنفقه في حاجتهم، بل هو دائم الحزن لعجزه عن قضاء حاجة من يحتاجونه منهم، فلا ينال الشهادة إلا من كان من أمثال هؤلاء، فما الشهادة إلا اصطفاء من الله واختيار، والله جل وعلا لا يشتري السلعة العفنة، حاشاه ربي وسبحانه، ولا ينظر إلى النفوس الدنية، حاشا وكلا، فشرف المشترى بشرف المشتري، فلينظر الدعي أين دينه وخلقه من دين هؤلاء وخلقهم، ثم ليعلم الدعي مقامه من مقامهم بحسب ذلك.

هذا، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل إخواننا في الشهداء، وأن ينصر المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها، ويعز الإسلام والمسلمين ويذل الشرك والمشركين، ويخرس ألسنة المخذلين، ويشل أركان المغرضين، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا

خالصاً لوجهه الكريم، وأن يقيل عثرتي، ويعفو عن زلتي، إنه عفوٌّ غفور رحيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب:
نور الدين بيرم (أبو عبد الرحمن)
الزرقاء - ٢٥/ رجب/١٤٣٠هـ

فهرس الكتاب

منبر التوحيد والجهاد

* * *

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.net
http://www.alsunnah.info
http://www.abu-qatada.com
http://www.mtj.tw